ضربِ کلیم

فِطــرة الُحـــــرِّ لا تُطيـق مُقــاماً

فألفِ السـيرَ دائبـــاً كالنســيم

أَلفُ عَين تشــقّ صــخرَكَ فاضرب

بَعدَ غَوْص فى (الذات) ضربَ الـكليم

إلى القارئين

إذا لم تُصِب فى الحياة النظرْ فليس زجاجُك كُفْءَ الحجر [1]
كِفاحٌ شديدٌ ، وضربٌ سديد فلا ترجُ فى الحرب عَزفَ الوتر
مَعينُ الحياة دماء القلوب ولحنُ الدِمَا لا المياهِ الفِطَرَ [2]

(١) انت بالنظر الصائب صلب تطيق الصدام فى الحياة ، وان لم يصب نظرك كنت كالزجاج لاتقوى على الصدام .

(٢) لحن المياه يستخرج من أوان تصف ويوضع فيها الماء مقادير مختلفة على نسب محددة ، ويضرب عليها . وهذه تسمى «جل ترنك» أى لحن الماء . فقال الشاعر ان الفطرة لحن دم لا لحن ماء . يعنى أن أنغامها تنبعث من دماء الناس لا من المياه .

تمهيـــد

(١)

يَقْظـة « الذات » لا أراها بِدَيْرٍ — لا ولا تُجتلَى لدى المِحـراب
إن روحَ الشُعوب فى الشرق غافٍ — من سموم الترياق، رهنُ غياب[١]
إن تَضِق بالجهاد فى الأرض ذَرعاً — فحرامٌ مسراكَ فوقَ ، السحاب[٢]
ليس من خيفة المَمات نجـاة — إن تَرَ (الذات) هيكلا من تراب[٣]
ليس يُخفِى صروفَه الدهـرُ لـكنْ — لك قلبٌ وناظـرٌ فى حجـاب
قـد مُنِحتُ الهشيمَ فى آسِيـا إذ — أنَّ نارى حديدة فى التهاب[٤]

(١) الترياق : الأفيون .

(٢) يقول : ان لم يستطع الانسـان المجـاهدة على هذه الأرض ، فاشتغاله بالفلك وما وراءه حرام .

(٣) يرى اقبال أن الحيـاة الخالدة بقوة الذات . فمن حسب ذاته ترابا كالجسم لم يخلص من خشية الموت .

(٤) نارى شـديدة الالتهـاب فأنا قادر على احراق هشيم آسـيا أى أممها التى هى كالهشيم أى ازالة مفاسدها واعدادها للحياة .

(٢)

ذَنبُ إقبالِ البيانُ و إن كان شبيهَ الزمانِ نزرَ الوصال[١]
هاج أنغـامُه عكوفـاً على الخشــــخاش مَوْتَى ، إلى طِـلابِ المعـالى
فهيضُ الجنــــاح آلِفُ دارٍ قد رَنا اليـوم للفضاء العالى[٢]
فَعَـــداهُ التغريدُ فى الأسحار
وحَنينٌ ومُتعـــةُ الأبصار[٣]

(١) اقبال قليل المخالطة للناس ولكن بيانه سائر فيهم ·
(٢) اقبال دعا الى طلاب المعـالى العـاكفين على الأفيون حتى طمحت الطير الداجنة كسيرة الجناح الى عنان السماء لتطير .
(٣) دعاء على اقبال بأن يحرم مما يحب من التغـريد الخ جـزاء ايقاظه الغافلين ·

القسم الأول

الإسلام والمسلمون

بسم الله الرحمن الرحيم

الصبح

إنَّا لنجهــلُ مطلعَ الصبح الذى   يُدعى بيومٍ أو غــدٍ فى الأزمُنِ
لـكنّما الصبــحُ الذى ارتجّتْ له   ظُـلَمُ العوالم ، من أذانِ المؤمنِ

لا إله إلا الله (*)

مُسْتَسِرٌّ فى الذات معنًى بعيدٌ   ســـــرُّه لا إلٰه إلا اللهُ
سيفٌ الذاتُ قاطعٌ غير نابٍ   شَـــحذُهُ لا إلٰه إلا الله
عصرنا يبتغى خليلا حَطوما   وُثْنَــــه . لا إلٰه إلا الله(1)
إن دنيـاكَ مَوثِن لا تصدِّق   زوره . لا إلٰه إلا الله
فى متاع الغرور تسعى وتبغى   ربحـــه ! لا إلٰه إلا الله
يا أسير الخسار والربح يَنسى   نفســـه ! لا إلٰه إلا الله
مالُ دنيـاكَ والبنون خداع   كلـــه . لا إلٰه إلا الله
هى أصنـام واهمٍ قـد براها   وهمُـــه . لا إلٰه إلا الله
حبس العقلَ فى مكان و وقت   كفــرُه . لا إلٰه إلا الله
لا زمانٌ ولا مكان لخـطِّم   غـــلَّه . لا إلٰه إلا الله

(*) بنى الشاعر هــذه الأبيات على كلمة التوحيــد بلفظها العربى فجهدت فى الملاءمة بينها وبين الوزن وجعلتها ردفا وبنيت الروى قبلها على الهاء غير ملتزم حرفا آخر .
(1) الوثن جمع وثن و الموثن مكان الأوثان .

الاستسلام للقـــدر

يقول اقبال فى هـذه الأبيات : ان المسلمين احتجوا بالقـرآن فى القصور عن السعى ، ومن هـذا القرآن نفسه ملك المسلمون الآفاق • وقد ركنوا اليوم الى القـدر وكان عزمهم من قبل قدرا • والحق أن العبودية بدلت النفوس فرأوا حسنا ما كان عندهم قبيحا •

مِن القرآن قد تركوا المساعى ... وبالقرآن قد ملكوا الثُريّا
إلى (التقدير) رَدُّوا كل سَعْيٍ ... وكان زَماعُهم قَـدَراً خفيّـا
تبـــدّلت الضمائر فى إسارٍ ... فما كرهوه صار لهم رَضِيًّا

المعـــراج

الذرة التى يملؤها الشوق تعلو على الشمس والقمر ، والدراجة اذا ملأ صدرها الحماس قاتلت الصقر • فانما القوة الحق قوة الروح ، لا شىء يستعصى عليها •

وذَرّةٍ طار فيها الشوقُ صاعدةً ... تُغيرُ فى عَرَصات الشمسِ والقمرِ
يا رِفقَةَ المَرجِ ! تلقَى الصقرَ مُقدِمَةً ... دُرّاجةٌ تملأُ الأنفاسَ من شرَر
المسلمُ السهمُ ، والأفلاكُ غايتُـه ... سرائرُ الروح فى المعراج فادّكر (١)
جهلتَ (والنجمِ) أسراراً فلا عجب ... ما زال مَدُّك محتاجاً إلى القمر (٢)

---

(١) يريد أن فى المعراج سر الروح • وهو رمز الى أن المسلم سهم هدفه الفلك •

(٢) جهلت أسرار الآيات فى أول سورة النجم ، التى يذكر فيها الوحى وتقريب الرسول الى ربه • وليس جهلك عجيبا فان نفسك لم تكمل ولا تزال خاضعة لما يؤثر فيها محتاجة اليه كما يحتاج البحر الى القمر فى مده •

إلى سيد مصاب بالفلسفة . . . .

لو لم تُوَلِّ « ذاتك » النسيانا — لَمْ تحملَنْ زُنَّار (بَرْجسَانا)[1]
أصداف (هكيلٍ) من الخوالى — طِلَسْمُهُ جميعه خيالى
فكيف صاخٍ تُحكَمُ الحياةُ — وكيف تجتاز الزمانَ (الذات) ؟
وطَلَبُ الإنسانِ للثبات — وقصدُه دستور ذى الحياة ؟
يُحوِّل الدجى إلى الإشراق — أذانُ مؤمنٍ نِدا الآفاق
وإننى فى الأصل سُومَناتى — إلى مَناةَ سَلَفِى واللات[2]
وأنت من أولاد هاشمىٍّ — وطينتى من نَسْلِ بَرْهَمِىِّ
فى عَصَبى فلسفةُ الأشياء — قد مُزِجَتْ بطينتى ومائى
أحاط إقبالٌ بها تفصيلا — وإن يكن عرفانُه قليلا
عاقبةُ العقلِ إلى شَتاتٍ — فلسفةٌ بُعدٌ من الحياة
ونَغْمَةُ الأفكار دونَ صَوت — لِلذَّة الأعمال حادى الموت
الدين فى حياتنا تقويم — الدين أحمدٌ وإبراهيمُ
(قلبَك فاربط بالهُدَى المحمدىّ — « أبا علىٍّ » اتركَنْ يا ابن علىّ
إنْ تك بالطريق غيرَ دارى — فالقرشىّ اتبعه لا البخارى)[3]

---

(١) برجسون فيلسوف فرنسوى ويلفظ اسمه فى الهند بركسان وهيكل فيلسوف ألمانى .

(٢) سومنات معبد كبير فى الهند هدمه السلطان محمود الغزنوى حينما فتح الهند ويشيده الهنادك اليوم . واللات ومناة من أصنام العرب .

(٣) هذان البيتان من شعر الخاقانى فى « تحفة العراقين » وأبو على والبخارى فى البيتين : ابن سينا .

الأرض والسماء

صاحِ عَلَّ الذى رأيْتَ ربيعاً هو فى أعيُنٍ خريفُ الزمانِ
سالكَ النهج ! كلَّ حينٍ شُئونٌ لا تفكّر فى الربح والخسرانِ
رُبَّ ما خِلتَه بدنياكَ أوْجاً هو أرض لعالَمٍ غَابَ ثانِ

اضمحلال المسلمين

إن كان ذا الذهبُ الذى يَقْضى الحوائجَ فى الدُّنى
فالفقرُ صاحِ مُيَسِّرٌ ما لا يُيَسِّرُه الغِنَى
شُبّانُ قومى لو تحلَّوْا بالشجاعة ديدَنا
لم تُلْفَ صَعْلكتى أقلَّ من الملوك تَصَوُّنا
الأمرُ ليس كما زعمتَ وقد وصفتَ المؤمنا
فزعمتَ أن طَماحه من قِلَّة المال انثنى
إن كان فى الدنيا بَدا لى جوهرٌ فيه سَنا
فمن التصعلكِ قد بدا لا بالخزائن والقُنَى

العلم والعشق

قال لى العلمُ غروراً : إنما العشقُ جنونْ
قال لى العشقُ مجيباً : إنما العلمُ ظَنينْ
لا تكن سوسَ كتاب يا أسيراً للظنون
فمن العشق شهودٌ
ومن العلم حجابْ

من لهيب العشق ثارتْ ثورةٌ فى الكائناتْ
وشهودُ (الذاتِ) للعشق ، وللعلم الصفات
ومن العشق ثباتٌ وحياةٌ ومماتٌ
عِلْمنا سُؤْلٌ جلىٌّ
عِشقُنا خافى الجوابْ

معجزاتُ العشق مُلكٌ زانَه فقرٌ ودِين
وعبيدُ العشق أدنا هم له عرش مكين
ومن العشق زمانٌ ومكان ومكين(١)
إنما العشق يقينٌ
وبه يفتحُ بابْ

(١) يستعمل كثيرا فى الآداب الاسلامية غير العربية كلمة مكين مع مكان . ويراد بها من يحل فى المكان .

أُلفَةُ المنزل في شرعٍ من الحبّ حرام
خطَرُ البحر حلال راحة السِّرْبِ حرامُ
خفقةُ البرق حلال وَفْرة الحبّ حرام[1]

عِلمنا نَسْلُ كتابٍ
عِشقنا أُمُّ الكتابْ

اجتهاد

حكمةُ الدين كما قد زعموا عُلِّمَتْ في الهند من أيّ طريقٍ ؟
ما بها لذةُ سعيٍ دائبٍ لا ولا فيها من الفكر العميقِ
أين منهم جُرأةُ العقل لدى مَحْفِلٍ يهفو إلى الفكر مَشوق
آه للتقليد والأَسر بما أَلِفوه وزوالِ التحقيق
بدَّلوا القرآنَ لا أنفسَهم كم فقيهٍ مُبعَدٍ من توفيقِ[2]
وكفى القرآنَ نقصاً أنّه ما هدى المؤمنَ منهاجَ الرقيق[3]

---

(١) الحب لايرضى القرار ففي شرعه ألفة المنزل حرام ، وحلال ركوب الخطر في البحر ، وحرام الدعة على البر • وخفقة البرق التي تحرق البيدر حلال ، ووفرة الحب أي الجمع والادخار وحب السلامة حرام. وذكر البرق والبيدر شائع في الشعر الفارسي والأردي .

(٢) كرر اقبال هذا المعنى في شعره ، يقول : ان النفوس قد ضعفت فأولت القرآن تأويلا يلائم ضعفها اشفاقا من تكاليفه .

(٣) يعني أن الذين بدلوا القرآن المذكورين في البيت السابق لم يجدوا في القرآن طريقا الى العبودية التي سكنوا اليها فحسبوا القرآن ناقصا •

شكر وشكوى

لك الحمد إنِّيَ عبدٌ جهولٌ ولكنْ وُصِلْتُ بسرِّ الغيوبْ
مَنَحْتُ القلوبَ هُيَاماً جديداً أثرتُ البعيدَ به والقريب
ومن حرِّ شَدْوِى يُرى فى الخريف طَروباً بصحبتِيَ العندليب
ولكن خُلِقْتُ بأرضٍ بها نفوسُ العبيدِ برِقٍّ تطيب

الذكر والفكر

ذانِ للسالك الطَموح مقام نَزَلَتْ فيه «عَلَّمَ الأَسْمَاءَ»[1]
ومقام التفكير قولُ ابنِ سينا ومقامُ العطَّار بالذِّكر ضَاء[2]
ولذكرٍ «سبحانَ ربّيَ» والفكرُ يقيسُ الزمانَ والأرجاء[3]

شيخ الحرم

يَخَفَى عليكَ مقامُ آدمَ فى الورى فالنفسُ ما نالَ الإله وِصَالَهُا[4]
ما فى أذانك من صباحيِ دعوةٌ أو فى الصلاة جمالُها وجلالُها

(١) الآية : وعلم آدم الاسماء كلها .
(٢) فى الأصل : العطار والرومى أى فريد الدين العطار وجلال الدين الرومى وهما من كبار شعراء الصوفية .
(٣) الذكر يتصل بالحقيقة الالاهية ، والفكر فى شغل بقياس الزمان والمكان .
(٤) يخفى عليك مقام الانسان ، ولهذا أخلدت الى الأرض فلم تصل الى الله .

القـــدر

يقول اقبال فى هذه الأبيات ان القضاء يبدو غير تابع للمنطق ولعل له منطقا خفيـا . وعلى كل حال نرى حقيقة لاجدال فيها هى ان عين القضاء تنظر الى مساعى الأمم ٠ فتقضى فيها على قدر مساعيها ٠

ربما يبلغُ اللئيمُ مُناه ... وينالُ الكريمَ ضيمُ الزمانِ
علّ فى منطقِ القضاء خفاءً ... ويُرَى دون منطقٍ فى العيان
عَلِمَ الناسُ ذى الحقيقةَ طُرًّا ... وجلاها التاريخ كل أوان
نحو مسعى الأقوام يرنو القضاء
نظرةٌ كالحسام فيها مَضاء

التوحيد

قوّةً كان فى الحياة على الأرض ... فصار التوحيدُ علمَ الكلام
رَدَّه فى الفعال غيرَ مضيء ... جهلُنا اليوم ما انا من مقام
قائدَ الجيش ! قد رأيتُ غموداً ... مِن « هُو اللهُ » مابها من حسام[(1)]
ما درى الشيخُ أن توحيدَ فكر ... دون فِعلٍ ، يُعَدّ لَغْوَ كلام[(2)]
يا إماماً لركعة كيف تدرى ... فى الوَرَى ما إمامةُ الأقوام ؟

(١) رأيت غمودا ليس فيها حسام من التوحيد ، وفى الأصل : من « قل هو الله » أى قل هو الله أحد ٠
(٢) لا يفيد توحيد الأفكار دون توحيد الأفعال ، فان ثمرة وحدة الفكر وحدة العمل ٠

العلم والدين

العلم وحده عاجز مُضل حتى يتصل به القلب ويصاحبه الايمان، ويهديه العشق . فان كان كذلك خلق هو ابراهيمه ليحطم أوثانه التى يصنعها . هذا شأن الحياة لا قديم فيها ولا حديث . والعلم والبصيرة أو العقل والقلب كالطل والنسيم لابد من اشتراكهما فى تربية الزهر .

العلم يخلق إبراهيم موثنَـــه   إذا تراه نديمَ القلب والنظرِ
هذى الحياةُ وهذا الـكون، مابُدِلا   ما مُحدَثٌ وقديمٌ قولُ ذى بصَر
مايُحسِنُ المرجُ ترييبَ الزهور إذا   لم تَشْرَكِ النسماتُ الطَّلَ فى الزَّهَر
العلم إن لم يُضِف نجْوى الكليم إلى   رأيِ الحكيم فما للعلم من قَدَر

المسلم الهندى

قال البَرَهْمَنُ : خائنٌ أوطانه   والانكليزُ تقول : هذا مجتدى
ونُبُوَّةُ البَنْجاب قالت : كافر   مستمسكٌ بقديمه لا يهتدى[1]
أيَّانَ صوتُ الحَقِّ يعلو هاهنا ؟   ويلٌ لقلبى فى الصِّراع المُجْهِدِ[2]

(١) نبوة البنجاب يقصد بها من ادعى النبوة فى البنجاب .
(٢) هذا الشطر مضمن فى الشعر وقد جاء فى الأصل بلفظ فارسى .

على ذكر الإذن بحمل السيف .

اذن الانكليز للناس بحمل السيوف بعد أن حرم حمل السلاح كله فنظم اقبال هذه الأبيات :

أيها المسلمُ تَدْرى اليومَ ما قيمةُ الفولاذ والعَضْب الذكَر
هو مصراعٌ من البيت الذى مضمرٌ فيه من التوحيدِ سِرّ
وأرى مصراعه الثانىَ فى سيفِ فَقْرٍ تحتويه كفٌّ حُرّ
أنتَ يا مسلمُ — إن تظفر به — خالدٌ أو حيدرٌ يوم المَكرّ(١)

الجهاد . . .

قامت طائفة فى الهند تنكر الجهاد ، تقول ان هذا عصر الدعوة بالقلم لا القتال بالسيف وتدعو المسلمين الى السلم. فيأخذ عليهم اقبال أنهم يدعون المسلمين ولا سلاح فى أيديهم ويتركون الأمم المدججة فى السلاح التى تشن الحرب بين الحين والحين .

الشيخُ أفتَى أنَّه عصرُ القلم ما السيفُ فيه حاكمٌ بين الأممْ
أما دَرىَ الشيخُ بأن وعظَه فى مسجدٍ قد صار من لَغْوِ الكَلِم؟
فما ترى السلاحَ كفٌّ مسلم بل قلبُه من لذَّةِ الموت حُرِم
مَنْ قلبُه يهابُ مَوْتَ كافرٍ فكيف مِيتةَ الشَّهيدِ يَغْتَنِم؟(٢)
فعلِّمَنْ تركَ الجهادِ طاغياً مِنْ كفِّهِ يسيلُ فى العالم دَم

(١) يريد خالد بن الوليد وعلى بن ابى طالب .
(٢) يريد بموت كافر الموت فى غير جهاد .

أما ترى الغربَ بدا مُدَجَّجاً ... ليحفظَ الباطلَ فى عِزٍّ عَمَمْ ؟
يا مُفتياً على الكنيسِ مُشْفقاً ... قد حَار فى أحكامه أُولو الفَهَم
الحربُ فى المشرق شرٌّ داهِمٌ ... والحربُ فى المغرب شرٌّ لا جَرَم
إن يَبْتَغ الحقَّ فكيف حاسب المُسلم لا الفِرنْجَ ذلك الحَكَم ؟

القوة والدين

كم أصَاب الانسانَ فى هذه الأر ... ضِ منَ اسكَنْدَرٍ ومن جَنْكيزِ
ويقولُ التاريخُ فى كل عصر: ... خَطَرٌ فَرْطُ قُوَّةٍ لعزيز
هى سيلٌ غُثَاؤه الفَنُّ والعِلمُ ... وما أَثَّلَ الورى من كنوز
وهى سُمٌّ بغير دينٍ . وبالدين ... دَواءٌ لكل سُمٍّ نَجيز

الفقر(١)

الفقر يمضى بلا سلاح ... فى حَوْمةِ الحَرب كالرجومِ
وكلُّ ضرب له سديد ... إن ثار من قلبه السليم
حَماسُه قَصَّ كلَّ عصر ... قِصَّةَ فرعونَ والكليم
يا غَيرةَ الفقر أنجدينا ... واهدى إلى نَهجِك القويم

---

(١) أنظر الكلام على الفقر فى المقدمة .

عبـــادةُ الغرب جمعَ مال　　تَنْخَـــرُ فى رُوحــه السقيم
العشقُ والشُّـكر مـــا أباحا　　أَنْ أَضبِطَ النفسَ فى همومى
فعُقـــدَة الـكِـمِّ لم تُفتَّح　　الا بمَـوْجٍ من النسيم[1]

الاسلام

إنّ نار « الذات » ، والنورُ لديها　　هى للاســـلام رُوح مستنير[2]
إنّ نار« الذات»، فاقبس من لظاها　　فى حيـــاة الخَلْقِ نورٌ وسُفورْ
هى تقـويمُ وجـودٍ وهْى أَصْلٌ　　للتَّجَلِّى أُخفِيَتْ خَلْفَ سُـتور
إن قَلَى الغربُ مِنَ الإسلامِ لفظاً　　فله اسمٌ آخرُ : الفقرُ الغَيور[3]

---

(١) كم الزهر لا يفتح الا بالنسيم ، وبيان الشاعر وشكواه كالنسيم تفتح بهما نفسه ٠

(٢) روح الاسلام هى الذات نارها ونورها ٠

(٣) ان نفر الفرنج من لفظ الاســلام فنحن نسميه اسما آخر فيه حقيقته هو الفقر الغيور (أنظر الفقر فى المقدمة) ٠

الحيـاة الأبدية

يؤكد الشاعر فى هذه الأبيات رأيه فى الذات أنها مقصد الحياة وأنها ان قويت واستحكمت لم تمت .

صدَفٌ لنـاهذه الحياة ، وذاتنا　　كالقطر من نَيسان فى الصدَفات[1]
ما قيمة الصدف الذى لا يستطيع　　يُحيـــل قَطْرات إلى دُرّات
إن صانت الذات المتينةُ نفسَها　　أعيَتْ على الأيام كلَّ ممـات

السلطـان[2]

السلطان الحق هو أحـد شئون الفقر ، كما يفسره الشاعر ، فهو تجلى « الذات » ــ ذات الفقير ــ بالتسلط . وليس السلطان طغيانا أو بغيا الخ . . .

تعلَّمْ ؛ فألفُ مقـــام وشانِ　　لفقر بدا فيـــه روح القُرَانِ
إذا انجلت (الذات) فى قهـرها　　فهــــذا مقامٌ لملك الزمان
وتوزن فى ذا المقـــام القُوَى　　قُـوَى مؤمن تُبتَـلى بامتحـان
و إنك فى ذا المقــــام عظيم　　وظـلٌّ من الله فى ذا المـكان

---

(١) يقـال أن الأصـداف تكون على سطح الماء مفتوحة فاذا نزل مطر نيسان تدخل فى كل صدفة قطرة منه فتنطبق عليها حتى تتحول درة . والشاعر يجعل الحياة صدفة ، والذات قطرة من نيسان . ويريد أن تحكم الحياة الذات كما تحيل الصدفة القطرة درة .

(٢) كتب فى بهوبال فى رياض منزل (دار السيد راس مسعود) .

وما ذاك بغى وقهر ولكن هو العشق والوجْد ملءَ الَجنان
فما يستطاع بقهر و بغى على الأرض حفظُ الورى فى أمان
وأعياك فى الدهر حفظٌ لفقرٍ فأصبحت فى الرقِّ خِدنَ الهَوان
وكان على الدين سيما سجود تُبارى الكواكب مِلء العيان
وكان على الشمس منه سَناً فهل فى نجومك منه معانٍ ؟

إلى الصوفى

ترى عيناك دنيا المعجزاتِ وفى عينىّ دنيا الحادثاتِ
ومن دنيا الخيال عجبتَ ، فاعجب لدنيا للحياة وللممات
تبدّ لها بنظرةِ غيرِ واعٍ وكَمْ تدعوك دنيا الممكنات

صريع الفرنج

— ١ —

من تجلّى الفرنج نلتَ وجودا فهمو منك هيكلا قد أقاموا
ومن (الذات) هيكل التُرْب خالٍ أنت غِمدٌ مذهَّب لا حسام

— ٢ —

ووجود الآله عندك ريبٌ وأرى الريبَ فى وجودك أنتا
إنما الكون جوهر (الذات) يُجلَى فانظرنْ أىُّ جوهر قد دفنتا

التصوف

يقصد الشاعر أن علم الكلام ان لم يصلح الـدين فهو لا شيء . وكذلك الذكر الذى لا يحفظ « الذات » والعقل الذى لا يصحبه العشق ، والفكر الذى لا يستجيب له القلب .

إن علم اللاهوت فى ملكوتٍ ليس للدين آسياً — ليس شيّا
وقيامُ الأسحار فى طول وَجْد ليس للذات راعياً — ليس شيّا
ذلك العقل صاعداً للثريا ليس بالوجد ساريا — ليس شيّا
ينطق العقل « لا إله » ولكن ليس بالقلب مسلماً — ليس[1] شيّا
كلماتى خوافق وسَنا الإصباح لم يبدُ خافقاً — ليس شيّاً

الاسلام الهندى

بوحدة الأفكار تحيا أمّة ودونها الإلهام يُلْفَى ملحداً[2]
لا تُحفظ الوحدة إلا بالقُوَى لم يُفلح العقلُ هنا ولا اهتدى
يا عابداً ليس لديه قوّة إذهب إلى كهف وسبّح واعبدا
وهات إسلاماً به تصوّف إلى الردى والذل واليأس هدى
للشيخ فى الهند أجيزتْ سجدةٌ فحِسبَ الإسلام حُرّا سيّداً

---

(١) أى يقول العقل : « لا الاه الا الله » الخ .

(٢) بغير توحد الأفكار تعم الفوضى . فالالهام الذى هو سبيل الايمان يصير الحادا .

قطعة [1]

ما القلب مات ، قلبٌ فـــأحِي ذا الرميا
يمحو الفـــؤاد داءً فى أمم قـديمـــا
بحــرُكَ فى سُكون سُـــحرٍّ أم أنيما ؟
لا وحشَ أو هيـاجاً أو ســـاحلا لطيما
وفى السماء ســـرّ لستَ بـــه عليما
ما هاج طـرفُ نجمٍ منك فـــتى كليما
رمى نشـيدُ صبحي أبـاءك الهشـيما [2]
شَــرارةً أُكــنَّت فى طينتى قـــديما
دُنيـــا غدٍ وأمسِ يُبصـــرها عليما
مَن حاز مثـلى عيناً جـــريئة هجـوما

الدنيـا

أنا كذلك أبصر دنيا الألوان التى تشبه بو قلمون ، وأعرف الهلال والنجم والسماء والأرض الخ ... ولـكننى أرى أن الانسان وجود حق وما عداه ليس شيئا .

كذا كُم بدا لىَ بُوقَلَمـونٍ وقلّبتُ فى الملـكوت النظـــرْ
فهذا هلال ، وهـــذى نجوم وهذا عقيق وهـــــذا حجر

---

(١) عنوان هـذه القطعة فى الأصل (غزل) . والغزل عنـدهم أبيات قليلة تجمع أفكارا مختلفة .
(٢) الأباء القصب . وهـو سريع الاحتراق . ثم القصب يحـرق أحيانا لاخصاب الأرض فالشاعر يعنى أنه يحرق الأنفس لتزداد حياة.

وعـــــينُ البصيرة أعملتُهـا فأوحت إلىّ صحيحَ الخـــبر
فهـــذا ترابٌ وتلك سمـــاء وذلك طَـود وهـــذا نَهَـر
ولا أكتم الحق : أنت وجـود ولا شيء ماساح فيـــه البصر

الصلاة

الأصنام لم تنقطع عبادتها ، فلا تزال تظهر بين الناس فى صور مختلفة فتعبـد ضروب العبـادات • فأعلم أن سجود الصلاة الذى يثقل عليك ينجيك من آلاف السجود لهذه الأصنام •

تلـوّنُ فى كل ثوب مَنـاةُ وشاب بنـو الدهر وهى فتـاةُ
فهـذا السجود الذى تجتـويه به من ألوف السجود نجـاة (١)

الوحى

العقل ظن وتخمين لا تضىء به النفس فلا تنجلى به ظلمـات الحياة • وانما ادراك الحسن والقبيح بالوحى • وهذا لا يتاح الا بأن تجلو الحياة أسرارها بنفسها •

ليس هذا العقل ذو الوهـــن حريًّا بالأِمامـه
فحيـاة الظن والتخمين ضَـــعف وسَـــقامه
ليس فى فكرك نـور أو إلى السعى اســـتقامه
كيف يجلو فى حيـاة ذلك الليـــلُ ظلامه ؟
إن لغز الحسن والقبح ليُعـيي ذا الفهـــامه
حين لا تجلو الحياة السرّ منهـــا مســـتهامه

(١) تجتويه : تكرهه •

هزيمة

خلا الصوفى من حُرَق وكدّ ؛ شرابُ (ألستُ) معذِرةُ البطاله[1]
وفرّ إلى ترهّبــه فقيــه يَرى فى الشرع معتركَ البساله[2]
إذا خشى الرجال وغَى حيـاة فتلك هى الهزيــمة لا محاله

العقل والقلب

سيطر العقلُ على الكون أميرا وطوى الأفلاكَ والأرضَ مسيرا
ذا جـلالٍ يخضـع الكون له غيرَ قلب ثار بالعقــل جسورا

سكر العمل

فى طريق الصوفىّ سُكرُ الحال وطريقُ الفقيـه سُكرُ المقال
ونشـيد الشِعْر المرجَّـع مَيْت خامدُ اللحن لم يُشَب بجَمال
بين نوم ويقظـةٍ غـيرُ صاح بَين سُكر الأفكار والبَلبـال
وبنفسى مجاهــدٌ لا أراه! فيه سكر الأعمال لا الأقوال

(١) يوم الست أو عهد « الست » اشارة الى الآية : الست بربكم • فالصوفى فى سكر بذكرى ألست يتعلل به ويعتذر لبطالته •

(٢) لما رأى الفقيه أن الشرع جهاد وكفاح فر الى الترهب •

القبر

فكرة الشاعر أن النفس القوية المجاهدة لا تسكن فى الحياة ولا بعد الموت . والقلندر أو القلندرى الحر الذى لا يركن الى سكون ، ولا تقيده رغبة أو رهبة (راجع المقدمة) .

لا يجد القلندرىّ راحة ... وإن ثوى بقبره تحت الثرى
سكينةُ الأفلاك فى الضريح لا ... فساحةُ الأفلاك أو طولُ السُرى

همة القلندر

يقول للزمانِ ذلك الفتى : ... امض إلى حيثُ يسير المؤمنُ
مالك فى معتركى مِن طاقة ... حذارِ من قلندر لا يُذعن
إذا طغى اليمّ فهيًّا أقدمِنْ ... ما حاجتى مَلّاحه والسُفُن
لقد محا سحرَكِ تكبيرى فهل ... تَقْوَى على جحوده ياوَهِن ؟

يحاسب الأفلاكَ ذا القلندرُ
وقاهرٌ أيامَه لا يُقْهَرَ

الفلسفة

ليس يَخفى على القلَنْدر فكرٌ ... ساوَر النشء ظاهراً أو خفيّا(١)
أنا عندى بكل حالِكَ خُبرٌ ... فبهذا الطريق سرتُ مِليّا

(١) القلندر هنا اقبال نفسه ٠

لا يقيم الحكيمُ فى شَرَكِ اللفظ ولا بالحروف كان حفيّا
ليس همُّ الغوّاص أصدافَ بحرٍ يبتغى الغائصون دُرّا بهيّا
إن فى حلقة المجانين عقلاً فى شَرار يرى لهيباً مضيّا[1]
إن أغلى من الجواهر، معنى صدّق القلبُ سرّه مطويا
فلسفاتٌ ما سطّرت بدم القلب مَوات أو للممات تُهيّا

رجال الله

إنما الحرّ من يُجيد ضِرابا لا الذى حربُه تدور هُراءَ
وسجايا الأحرار تجمع تاجاً ذا سناء، وخرقةً وقَباء[2]
من خفايا تُرابهم أخذ الدهرُ شَراراً فصاغ منه ذُكاء
فِطْرة حرّة تعاف الدنايا من طَواف الأصنام عاشت بَراء
أنت فى الكفر والتديّن جَمْعا وثنِىّ تُقدّس الأهواء[3]

---

(١) بين الذين يعدون مجانين من أصحاب القلوب الحية من يرى الحقائق الكبيرة فى مظاهر صغيرة فيرى فى الشرارة لهيبا عظيما .

(٢) سجية الحر فيها عظمة الملك وفيها خلق الصوفية لابسى الخرقة، وفيها فقه العلماء لابسى القباء .

(٣) الأحرار منزهون عن عبادة الأصنام وأنت فى ايمانك وكفرك لا تخلو من عبادتها .

الكافر والمؤمن

يكرر الشاعر هـذا المعنى كثيرا : ان المؤمن مسيطر على الـكون يتصرف فيه ، لا يضل فيه ولا يحار ، فهو سائر على قانون يرفعه على الأحـداث والغير ، وأن غـيره مقهور فى الكون حائر ، تتلقفه أحداثه ، وتقلبه غيره .

والفكرة مأخوذة من مثنوى جلال الدين الرومى . فقد قص المثنوى قصة افتقاد حليمة الرسـول فى طفولته وطلبهـا أياه والهة ، وأن جبريل لقيها فقال لها : لا تخشى عليه أن يتيه فى الآفاق ، فهذه الآفاق تتيه فيه :

أمسِ عنـــد البحر قال ... الخضر لى قولا أعيه[1]
تبتغى الترياق من سمٍّ ... فـــرنج تتقيـــه ؟
فخُذن قـولا سـديدا ... هو بالسيف شـــبيه
ذا مضـــاء وضـــياء ... خـــبرةُ الصيقل فيـه :
إنمـا الـكافر حـيرانُ ... لـــه الآفاق تيـــه
وأرى المؤمن كـونا ... تاهت الآفاق فيـــه

(١) يروى أن الخضر صـاحب اسـكندر حتى بلغا أرض الظلمات وفيها عين الحياة فشرب منها الخضر فخلد ولم يهتد اليها اسكندر . فينسب الشعراء الى الخضر المعرفة والحكمة ، ويقولون عنه ما يشاءون .

المهديّ الحق

كلٌّ ثوى فى مَحبِس من صُنعه : سيَّارُ إفرنج وثابتُ مشرقِ[1]
والشيخ فى حَرم وحَبر كنيسة لا جِدّةٌ فى القول أو فى المنطق
أهلُ السياسة فى شِراك قديمهم والشعرُ أفلس فى خيال مُغلَق
مَن لى بمهديٍّ له نظر يزلزل عالمَ الأفكار، غيرَ مُمخرِق

المؤمن

— ١ —

فى الدنيا

مع الصَحب لَيْن كمسِّ الحرير بعيدٌ من المَحَكِ، المؤمنُ[2]
حديدٌ إذا ما طغى باطل جرىء لدى المَعْرَك، المؤمن
من الطين، لكن على الطين يسمو و يأبى على الفلَك، المؤمن
وما همُّه صيدُ طير ولكن يَصيد من المَلَك، المؤمن

---

(١) الفرنجى الدائب فى العمل كالكوكب السيار ، والشرقى القاعد عن السير كالكوكب الثابت ·

(٢) القافية مردوفة بكلمة « المؤمن » والروى الكاف التى قبلها ·

— ٢ —

فى الجنـة

تقـــول الملائك فى غبطـة : حَبيبٌ إلى قلبنـــا ، المؤمن
وللحـــور شكوى إلى ربها: سريعٌ إلى هجـــرنا ، المؤمن

محمـد على البـاب

ناقش جماعة من العلماء فى ايران محمد على المسمى الباب ، فقرأ من القرآن فلحن فى اعراب السماوات • فضحك الحاضرون فقال : ان بشرى أمامتى تحرير الآيات من الاعراب •

أجاب (البـابُ) فى حفل مفيضـــا فى مقــالاتِ
وفات الشيخَ توفيـــقٌ بإِعـــراب (السماوات)
سرَتْ فى الحَفْـل غلطتُـه فـلاقـــوه ببسْمات
فقال (البـاب) : لم تَدروا وفاتتكـم مقـــاماتى
ثوى القـــرآنُ بالإعـراب فى حَبس وإعنـــات
وإنْ إمامـــتى جاءت بتحـــريرٍ لآيـــات

القـدر [1]

الخـالق وإبليس

إبليس: يا إلهـــاً أمره كن ليس عنـه من مَحيـدْ
لم يُصَب آدمُ مـنى بعـدوّ أو حسـود
ويل غرٍّ، من زمان ومكان فى حـدود
كيف أستكبر عن أمـرك أو كيف أحيدْ
كان فى علمك أنى حائد عن ذا السـجود

الخالق: هـل عرفت السر هذا قبلَ أو بعـدَ الجحودْ؟
إبليس: بعـدُ! يا مَن مِن تجلّيه كمالاتُ الـوجـود

الخالق (ناظـراً إلى الملائكة)

خسَّةُ الفطـرة فيـه علمته ذاك عـذرا
قال: ما شئتَ سجودى أنا لا أملك أمـرا
ذلك الظـالم سَـمَّى إختياراً فيـه جَبرا
إنه سَمّى رَمـاداً شُعلة فيـه وجَمرا

---

(١) مأخوذة عن محيى الدين بن عربى.

أى روح محمد !

يصف الشاعر فى هذه الأبيات غمه وحيرته ، فالأمة الاسلامية انفرط عقدها ، وفى صدره موج ولكن بحر العرب الذين ماجت بهم أحداث التاريخ ليس فيه هياج اليوم فيخلط به هذا الموج . وهو حاد ولكن لا زاد له ولا قافلة يحدوها . وأمامه فياف هائلة . وهو حفيظ على آيات الله يبتغى أن يسير بها . فهو يلتمس سبيله فى هذا العالم ويسأل روح الرسول أين يذهب .

أرى الملة البيضاء بُدِّد نظمُها — فمسلمَك انظر حاله ، أين يذهب؟
وليس ببحر العُرب لَذَّة ثَورة — وفى الصدر موج غاله ، أيْن يذهب؟
ولا ركبَ للحادى ولا زادَ عنده — وقطعُ الفيافى هاله ، أين يذهب؟
فبيِّن لنا الأسرار روح محمد ! — حفيظٌ لآىٍ ، ياله ، أيْن يذهب؟

مدنية الإسلام

الجنون هنا معناه الحماس للعمل والاقدام فى غير مبالاة . فحياة المسلم فى رأى الشاعر تجمع العقل والأقدام . وهى كالشمس تغرب لتطلع . وهى فذة لا نظير لها ولكنها كالزمان فى شئون متعددة . وهى قائمة على الحقائق وجامعة عناصر الجمال والقوة .

حياةَ المسلم اعرف فى بيانى — كمالُ العقل فيها والجنونُ
سناً كالصبح مَغرِبه طُلوعٌ — وحيدٌ ، كالزمان له شئون
ولا كالعصر ، خِلوٌ من حَياء — ولا فيها من الماضى فُتُون

حياةٌ بالحقـــائق فى قَرار ... وليستْ مايُطلسِم أفلطون[1]
عناصرُها يؤلفهُــا جَمــال ... تمثّـل فيـه جبريل الأمين
وحسنُ الخلْق من عُجْم لديها ... ونارُ العُرب فيهـا والشجون

الإمامة

يقصد اقبال من ادعوا الامامة فى الماضى وفى عصره . ويرى أن الامام من يعلو بأصـحابه عن قيود الحاضر المشهود الى عالم المعنى الفسيح غير المحدود الخ .

أتسألنى : الإِمامةُ ما مَداها ؟ ... حبَـاكَ الله مثــلى بالخفايا
إمامُ العصر حقًّا من تراه ... فتسأمُ ما تشاهــد فى البرايا
بمرآة الممات يريك وجه الـ ... ـحبيب فتجتوى عيش الدنايا
ويُشعركَ التخلفَ عن كمال ... فينفخُ فيك مشبوبَ السجايا[2]
يُمِرُّ عليك من فقــر مِسَنًّا ... فيطبعُ منكَ سـيفاً للمنـايا
فُتون الملّة البيضـــا إمام ... كأن المسلمين به ســـبايا[3]

(١) ليست قائمة على أفكار أفلاطون التى ترى الحقـائق فى عالم المثل لا على هذه الأرض .

(٢) يشعرك ما فيك من نقص وما فاتك من كمال .

(٣) فتنة الملة الاسلامية إمام يمكن أصحاب السلطان من اذلال المسلمين .

الفقر والترهب

يشيد اقبال بالفقر ، وينسب اليه المعجزات . وهو فيما يؤخذ من كلامه ـ التحرر من الطمع والحرص ، والا يملك الانسان ما يملكه فيذله ويصده عن الحق والخير . وهو لا يشبه الرهبانية فى شيء . فمن حسب الفقر رهبانية فاسلامه غير الاسلام الذى يعرفه الشاعر .

إسلامك الموهومُ شيء آخر؛ — الفقر عندك كالترهّب يظهر
شتَّانَ، فانظر، بين خَلوة راهب — وشِراع فقر فى عُباب يمخُر
فى الروح والأبدان يبغى جلوةً — فنهاية الايمان (ذاتٌ) تبهر[1]
هو صيرفىّ الكائنات وجوده — فعن الفناء أو البقاء يخبّر[2]
فاسأله عما ترتئيه أعالمَ — أم موج رائحة ولون يزخَر ؟
لما أضاع المسلمون على المدى — ذا الفقر — لما ضاع هذا الجوهر
لم يبق فيهم من سليمانٍ ولا — سلمانَ دولةُ عِزّة لا تُقهر

قطعة[3]

متاعُك فى الحياة فنونُ علم — تظَلّ الدهرَ منها فى حُبور
وما عندى متاع غيرَ قلب — طموحٍ ما أراه بالصبور

(١) الضمير فى « يبغى » يرجع الى الفقر ، وهو يطلب تجلى الروح والجسم . وتجلى الذات هو مقصد الايمان .

(٢) هذا الفقر ينقد الكائنات فيقول هذا للفناء وهذا للبقاء ، وهذا حق وهذا باطل .

(٣) عنوان هذه القطعة فى الأصل « غزل » والغزل فى عرف شعراء الفرس ومن تقيلهم ، أبيات قليلة فى موضوع أو موضوعات . وربما لا تشتمل على شيء مما يسمى بالغزل فى الشعر العربى .

لأهل الفـكر معجزة تَجلَّت　　بفلســـفةٍ معقّـدة السطور
وأهلُ الذكر شادوا معجزاتٍ　　على موسًى وفرعونٍ وطور (١)
أقول لمسلم : ما فيك صـدر　　لأنفــاس بهــا حَرّ النشور
ومزقتُ الجيوبَ وأنت خالٍ　　جُنونى ـ لاألومك ـ فى قصور (٢)
أقلَّ القولَ وافتح عين قلب　　ولا تكُ مهذراً عنـد البصير
وما إن ذلَّ قوم قد أعدّوا　　حَماس العشق والفقرِ الغَيور

التسليم والرضا

على كل غصن تبـــيّن أن النبـــات مَشوقٌ لرحب الفضـــاء
فما قرّ فى ظلمـــة الترب حَبّ . جُنونُ النشـــــوء به والنمـاء
فلا تَبغِ فى فِطـــرة تركَ سعيٍ فمــــا ذاك معنى الرضا بالقضاء
لأهـــل النمــاء فضاءٌ فسيحُ
وما ضاقَ مُلك الإله ، فسـيحوا

---

(١) يقصـد بموسى وفرعون كل من له صـفات موسى أو صفات فرعون فلهذا نكرت الاسمين وصرفتهما ٠

(٢) يعنى انى لم أصيرك مثلى مجنونا لأن جنونى لم يكمل فلم يؤثر فيك فاللوم على لا عليك ٠

نكتة التوحيد

بنى الشاعر هذه القطعة على القافية المردوفة فحاكيته فى الترجمة . والروى حرف النون فى موثنا ومطعنا الخ ...

إن سر التوحيـــد طوع بيَـــانى
شِدتَ فى الرأس موثنا ، ما احتيالى ؟[1]

رمـــز شـوق بلا إلاه خفىّ
ليس فى الفقـه بيّنا ، ما احتيـالى ؟

كم سرور فى حـــرب حق وزور
لستَ فى الحرب مِطعنا ، ما احتيالى ؟[2]

كم تُجلّى الآفاقَ نظـــرةُ حـرّ
حجب الرقّ أعينـــا ، ما احتيالى ؟

أىُّ مُلكٍ مَقـــامُ فقـــر ! ولـكن
تؤثر الذلَّ مُذعنـــا ، ما احتيـالى ؟

الإلهام والحرية

إن للحُرّ ملهَما نظراتٍ ... تحفِز القـولَ والفِعالَ بنـار
حَرُّ أنفـاسه يَشيع بروض ... فترى الروض مُزهِراً من شَرار

(١) يمكن أن يبين سر التوحيد ، ولـكن ما حيلتى وقد بنيت فى رأسك معبدا للأوثان . وقد وضعت كلمتى مصنم وموثن لمكان الصنم والوثن ، ترجمة لكلمتى بت كده ، بتخانه ونحوهما .

(٢) كم سرور فى مجاهدة الباطل بالحق فى هذه الحياة .

يَهبُ العنـدليبَ سِيرةَ باز — كيف حالت طبائعُ الأطيار؟
يَمنحُ المجتـدين شَوكةَ جمٍّ — عارفُ النفس والهُ الأسحار[1]
ووقى الله حكمـةً لذليـل — مثـل جنكيز طالعٍ بالدَّمار[2]

الروح والجسم

يقول اقبال فى هـذه الأبيات ان همى فى هذه الحياة القلق والثورة والسرور والحزن . وأنت شغلت نفسك بهذه الأسئلة ولم تشعر بحقيقة الحياة .

تحيّر النـاس فى ذا اللغز من قدم : — ما جوهر الروح أو ما جوهر البدن؟
ومشكلى فى اضطراب بى وفى تَمَـل — وثورة وسرورِ النفس والحـزن
ومشكلٌ لك أن الخمر من قدح — أو أنّ من خمرة كأساً، لذى زكَن[3]
ما اللفظ والمعنى؟ وكيف الروح فى بدن؟ — جمـرٌ بدا فى رَمادٍ منـه للفطِنِ

لاهور وكراجى

روى أن هندوكيا فى لاهور اسمه راجبال أساء الأدب فى الحديث عن الرسول صلوات الله عليه فذهب اليه مسلم اسمه علم الدين وقتله فى غير ضوضاء ، وان رجلا من الهنادك فى كراجى فعل فعله فذهب اليه مسلم من كوهات فى غير مشاورة ولا مؤامرة فقتله . وأراد المسلمون أن يؤدوا دية القتيلين وينجوا القاتلين من العقاب فكتب اقبال الأبيات :

قـد تولى اللهَ عبـدٌ — مسـلم مـــا آمرا
هــو بالمـوت إلى عا — لَم روحٍ ســافرا

---

(١) جم : جمشيد أحد ملوك الفرس فى الأساطير .
(٢) يريد أن حكمة الذليل تدمر الأمم كغارات جنكيز .
(٣) الزكن : الفطنة .

كيف تَفْدون شهيداً ... الخلود آثرا

دَمُه من حَرَم أعلى ... وأغلى جوهرا[1]

آه للمسلم غفلانَ ... نَسِيًّا ما درى :

سرَّ « لا تدع مع الله ... إلهاً آخرا »[2]

النبوّة

يعنى الشاعر بهذه الأبيات من ادعى النبوة ودعا الى المسالمة والكف عن الجهاد ·

لستُ المحدِّثَ والفقيهَ ... ولا الولىّ ولا المجدِّد

لا علم عندى بالنبوّة ... كيف توصف أو تحدَّد

لكن إلى الإسلام فى الأيام ... لى نظر مسدد

أوحى إلىّ بسرّه الفلكُ ... المحيط فلا أفنَّد

فرأيت فى ظلمات هذا العصر ذا الحق المؤيَّد :

عندى حشيش المسلمين ... نبوّةٌ فيهم تجدَّد

ما إن لديها دعوة ... للبأس والمجد المخلّد

(١) يعنى أن كل ما تبذلون لا يساوى دم الشهيد الخ ··

(٢) الآية : (فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين) سورة الشعراء ·

الإنسان

ذا طِلَسْمُ الكَون والعدمِ سُمِّى الإنسانَ من قِدَم
هو سرّ الله جلّ فلا يحتويه الوصفُ فى كَلِم
إن هذا الدهرَ من أزلٍ من سِفارٍ باء بالسَّقَم
ومضى الانسانُ سيرتَه لم يُصَب بالضعف والهَرَم
وإليك السرَّ أُعلِنه إن تَسَعْه غيرَ متَّهِمِ:
ما بدا روحاً ولا بدنا ذلك الانسان للفهَم

مكة وجنيوا

كم حديثٍ عن الشعوب سمعنا وحدةُ الناس حجّبت عن عيانِ
حكمةُ الغرب فُرقة الناس والاسلام فيه توحُّدُ العُمرانْ
ومقالٍ من مكةٍ لجنيوا قد وعاه اللبيب فى كل آن :
خبّرينى اليقين : هل عصبة الأقوام خير أو عصبة الإنسان ؟

يا شيخ الحرم

ودّعِ الخلوةَ يا شيخ الحرم واسمعنْ فى الفجر منّى ذا النغَم
يحفظ الله لك الفتيانَ فى حُكم نفسٍ ، واشتعالٍ فى الهمم
هُمْ عن الغرب زجاجاً أخذوا علّمَنْهم صَدمة الصخر الأصم

طولُ ذلّ أظلم القلبُ به ... أدرِكَ الحيرانَ فى هذى الظلَم
فى جنوني منك أسرار بدت ... فاجْزِنى يا شيخ عن هذا اللمم[1]

المهدى

كتب سبنجلر يقول ان ضعف المسلمين من ايمانهم بالقدر والمهدى . فرد اقبال بأن هاتين العقيدتين غريبتان عن الاسلام . وكتب مولانا أسلم جرا جبورى يأخذ على اقبال انه يذكر المهدى فى شعره أحيانا . فكتب أقبال هذه الأبيات يبين رأيه فى عقيدة المهدى ويذكر أنه يتوسل بها أحيانا إلى نفخ الحياة فى موتى الأحياء .

أرى الأقوام تَمضى فى حياة ... على قدر التخيّل فى الحياة
فمجذوب الفرنج على خيال ... من المهدى قاد إلى النجاة[2]
فان تنفر من المهدى ينفرْ ... غزال المسك من هذى الفلاة[3]
إذا ما الحيّ من جهل تردّى ... بأكفان وأغرقَ فى سُبات
أتُسلِم ذا الجهولَ إلى الردى أم ... تمزِّق عنه أثوابَ المات؟

---

(١) يعنى أن نشوته وولهه وقد عبر عنهما بالجنون أدركا أسرار شيخ الحرم فأفشياها فهو يسأل الشيخ أن يكافئه عن هذا الجنون .

(٢) يعنى الفيلسوف الألمانى نيتشه الذى تكلم عن الانسان الكامل .

(٣) يعنى أن هذه الفكرة تعطر بها النفوس المقفرة وتحمل ما يحمله غزال المسك فى الفلاة فلا تحرم الناس منها .

المؤمن

إن للمؤمن العجيب الشانِ ... كل حين جديدَ شانٍ وآنِ
هو في قوله السديد وفى الفعل ... على الله واضحُ البرهانِ
فيه قدسيّةٌ إلى جبروتٍ ... ومن القهر فيه والغفران
إن تُؤلَّف هذى العناصرُ كان ... المسلمُ المستعلى على الحِدْثان
هو تُربٌ سما يجاور جبريل ... ويأبى الحلول فى الأوطان
لست تدرى بسرّه فتراه ... قارئاً وهو صورة القرآن
فيه عزم على القضاء دليل ... وهو فى العالَمين كالميزان(1)
هو بَرد الندى بقلب شقيقٍ ... وبقلب البحار كالطوفان(2)
ليله والنهار لحن حياة ... فى انسجام كسورةِ الرحمن
إن فكرى مطالع لنجوم ... نجمك اعرف طلوعه فى بيانى(3)

---

(1) يقول اقبال في مواضع كثيرة إن عزم المؤمن من القدر أو هو مشير على القضاء والقدر وان رأيه وعمله ميزان الصلاح والفساد فى الحياة . وهنا يقول إنه ميزان الأعمال فى الدارين الدنيا والآخرة .

(2) هو تارة كالندى يبرد قلب الشقائق ، وتارة كالموج الهائج فى البحر ..

(3) يقول ايها الباحث عن مستقبله فى طوالع النجوم هلم أدلك على أسباب السعادة ، فان فكرى يطلع نجوما صادقة تدل على السعد والنحس .

المسلم البنجابى

عرف أهل البنجاب بكثرة النحل والدعوات المبتدعة .

مجـدّد فى كل حين مذهباً ... يحـلّ فى مرحـلة ليركبا
فى حَلبة التحقيق نِكسٌ وإذا ... قامـره داع غـوىّ غُلِبا
حِبالة التأويل إن تُنصَب له ... هوى من العُشّ إليها مُعجَبا

الحـرية

يعنى إقبال فى هذه الأبيات على من يدعون الحرية حين يتحدثون فى الاسـلام وحضارته فاذا عرضت أوربا وحضارتها خنعوا لهـا فكرا وفعلا .

ألا من يطيق اليـوم نُصحاً لمسلم ... وحـريةُ الأفـكار من ربّه أمر
من الكعبة اجعل بيت نار وإن تشأ ... فموِّن أفـرنج به الزور والسحر
وإن شئت فالقرآن تأويلُ لاعب ... فجدّد لنـا شرعا يلائمـه العصر
رأيتُ بأرض الهنـد أىّ عجيبـة ... فإسلامها عبـد ومسلمها حرّ

نشر الإسلام فى بلاد الافرنج

هذى الحضارةُ ما تديَّن قلبها ... فأخوّة الإفرنج بالعَصَبات
فلـئن تنصّر برهمىٌّ لم يزَل ... للانكليز إليـه نظرةُ عات
وَلوَانَّهم قد أسلموا لم يرفقُوا ... بالمسلم المنكود من إعنـات[1]

(١) لو أن الانكليز أسلموا لم يحسنوا معاملة المسلم .

لا و إلا

يرى اقبال أن الحياة محو واثبات أو هدم وبناء • فالأمة الصالحة تمحو السيىء وتثبت الحسن • وكلمة التوحيد قائمة على نفى غير الله واثبات الله • فان محت الأمة ولم تثبت أو هدمت ولم تبن فعاقبتها الفناء•وهو يعنى هنا حضارة أوربا عامة والروس الشيوعيين خاصة•

لو لم تسِر فى ظـلام التُرب نابتــةٌ ما نشّرت فى فضاء النــور أغصانا
تقضى الحياة بـ « لا » فى البدء نافية وفى النهـاية « إلا » تـُكمل الشانا
إن لم تجىء بعـدها « إلا » مثّبتة كانت على الموت « لا » فى الدهر عنوانا
إن أمة روحها لم يمض معتزماً عن « لا » فقد آذنت بالهُلْك إيذانا

إلى أمراء العـرب . . .

العرب هم الأمة التى حملت الى الأمم رسالة الاسلام وعلمتها الاخوة والتعاون • والشاعر ينعى على أمراء العرب أن نسوا هذه الرسالة التى بلغوها وكانوا أحق بها وأهلها •

هل يُسْعدُ الـكافرَ الهندىَّ منطقُه مخـاطباً أمــراءَ العُرْب فى أدبِ
مَن أمَّة قبل كل الناس قد أخذتْ بحكمة فأعانتهـــا على النوَّب :
إخاء مصــطفوىّ دون تفرقة وهجــرُ كلّ غـوىّ من أبى لهب
ما من حدودٍ وأرضٍ كان منشؤُها من أحمدِ العُربِ كانت أمةُ العرَب

الأحكام الإلهية

اقبال يؤمن بحرية الارادة ، وينفر كل النفور من الاعتقاد بالجبر والاستسلام للأحداث . وفى هذه الأبيات يقول إن الجماد والنبات خاضع لقوانين لا يحيد عنها وأما المسلم فهو خاضع لأحكام الله لا لقوانين طبيعية تسيره مجبرا . وهذه الفكرة تلقى قارىء شعره فى مواضع كثيرة .

قيدَ القضاء تَرى أم قيدَ أحكام ما أعجزتْ هـذه أربابَ أفهامِ

فى كل حين ترى التقديرَ فى غِيَر رهينُهـا بين لذّات وآلام[1]

إنِ النبات وإن الجامدات لها من القضاء قيودٌ ذاتُ إحكام

والمؤمن الحر لا شىء يقيّده لكنْ لخالقه فى قيد أحكام

المـوت

يرى الشاعر أن القلب الحى لا يموت فهو حى بعد الموت طموح طلعة لا يرضى بالسكون والقرار . وانما حياة القلب فى رأيه بقوة الذات (خودى) . والموت لا ينال الذات حين ينال الجسم .

فى اللحد أيضاً يبقى الغيابُ والحضور

إن يك قلبٌ حيًّا فالقلب لا صبور

هذى النجوم تمضى كشَرَر يطير

---

(١) عالم الطبيعة والحادثات فى تغير مستمر فمن خضع له تداولته اللذات والآلام .

والذاتُ فيهـــا راحٌ في أبد سُـــــرور
إن مسَّ جسما مـوتٌ واحتجب الظهـــور
فللوجـــود قُطب مَنـــــاله عسـير

قم بإذن الله

في هذه الأبيات يبشر اقبال بالمستقبل الوضاء على رغم الخطوب ويقول تغيرت الدنيـا ولكن الأرض والسـماء كما كانتا · وكلمة « قم باذن الله » مكررة بلفظها في الأصل ·

إن تَحُل دنيـا فلم تَفْنَ أرضٌ وسمـــاءُ ، قم بإذن اللهِ
مِنْ «أنا الحقّ» انطوى فيك قلب ومَضـــاءُ ، قم بإذن الله(١)
لا تُرعَ ممـــا ترى ؛ لفـرنجٍ ســـيمِياء ، قم بإذن الله(٢)

---

(١) يرمز الى قصة الحلاج الصوفي الذى قال أنا الحق · يقول للمسلم: فيك روح تنتسب الى الأرواح العظيمة ·

(٢) لا يرعك ما يحيـط بك من فتن الأفرنج فهى ســيمياء لا حقيقة لها ·

القسم الثاني

التعليم والتربية

المقصود[1]

يبين هنا الشاعر رأى اسبنوزا الفيلسوف ورأى أفلاطون ورأيه هو فى المقصود من هذه الحياة ·

سبنوزا :

يبصر العاقل الحياةَ وليست ... غيرَ نور وجلوة تُستَحبُّ

أفلاطون :

يبصر الموتَ عاقلٌ ، فحياة ... كشرار بجنح ليل يشبّ

ما إلى الموت والحياة التفات ... مقصدُ الذاتِ رؤيةُ الذاتِ حَسبُ[2]

إنسان هذا العصر

حُرم العشقَ وللعقل به ... نكَزات كشجاع يثأرُ[3]

تبعَ العقلَ شروداً سادِراً ... ما هدى العقلَ لديه بصَر

لم يسافرْ فى دُنَى أفكاره ... وعلى الأفلاك دام السفر

هو من حكمته فى شَرَكٍ ... غابَ عنه نفعُه والضررُ

مَن شُعاع الشمس فى قبضته ... ما به ليلُ حياة يُسفِر!

---

(١) كتبت فى بهوبال فى رياض منزل (دار السيد راس مسعود)
(٢) هذا رأى اقبال ·
(٣) النكزة عضة الحية · والشجاع نوع من الحيات ·

أمم الشرق

كيف تُجلى حقائقٌ لعيون ... عَميتْ بالخضوع والتقليـــــدِ
كيف يُحيي الفرنجُ عُرْباً وفُرْساً ... بفنـونٍ تســـير نحو اللحود

التنبه

فى هذه الأبيات ينعى اقبال أيضا على الانسان اهتمامه بعالم الطبيعة واهماله نفسه . ويقول ان تقوية الذات وتقديرها يعين الانسان على الحادثات ويبصره الجميل والقبيح فى البصيرة ، والحلال والحرام ، حلال القلب وحرامه (استفت قلبك وان افتاك المفتون) .

نظر المنجّم فى حِباكِ نجومـه ... لكنْ مَقامُ الذات عنـه يُستَرَ
مَن يدرِ أن الذات أرفع منزلا ... عَرف الزمان وصرفه لا يُقهرَ(١)
وجميـلَ أنظـار يرى وقبيحَها ... وحـلالَ قلب والمحرَّم يُبصِر

مصلحو الشرق

يأخذ الشاعر على مصلحى الشرق أنهم لم يخرجوا للنـاس شيئا وانهم لم يستمسكوا بالسنن الصالحة القديمة ولا أخذوا بالسنن الحديثة .

يَئستُ فلا أرجِّى فى أناس ... لهم فنّ كفنّ السامرىِّ(٢)
سُقاةٌ فى رُبوع الشرق طافوا ... على النـدماء بالقَـدح الخلىّ
سحابٌ ما حوى برقاً قديمـاً ... وليس لديه من برقٍ فتىّ

---

(١) ارفع منزلا من الفلك .

(٢) السامرى الذى صنع لقوم موسى عجلا من الذهب ودعاهم الى عبادته ، فنه سحر وضلال .

الحضارة الغربية

أرى تثقيفَ إفرنج ... فسادَ القلب والنظر
فَروح حضارة لهمُ ... خلت من عفة الوطر
إذا ما الروح جانبها ... جمالُ الصفو والطُهُر
فأين جمالُ وجدانٍ ... ولطفُ الذوقِ والفِكَر

أسرار ظاهرة

قال موسوليني لاقبال حين لقيه : من ملك الحديد ملك كل شيء . فأجاب أقبال : من كان هو حديدا فهو كل شيء . وقد ضمن هذا المعنى البيت الأول من الأبيات التالية .

ما بهم حاجةٌ إلى السيف قومٌ ... من حَديد يُصاغُ فيهم شبابُ
أين منكَ الأفلاكُ ؟ إنك حُرٌ ... وهي قَهْرٌ ذهابها والأياب
ما اصطخاب الأمواج ؟ لذةُ سعى ... واللآلى يصوغها الوهاب
ليس يَهوى الشاهينُ من طول خفْق ... يا أخا العزم لا ينلْك التراب

وصية السلطان تيبو

السلطان تيبو كان من ملوك المسلمين فى ميسور جنوبى الهند ٠ وقد حارب الانكليز زمنا طويلا وحاول أن يؤلب عليهم دولا اسلامية ويتفق مع نابليون ، وكان فى مصر حينئذ ٠ فجمع له الانكليز ما استطاعوا٠ فلما يئس من النصر ألقى بنفسه من قلعة فمات سنة ١٢١٣ هـ ٠

وهو عند اقبال ممن تتجلى فيهم (الذاتية) فقد جعل هذه الوصية على لسانه ٠

وفى هذه الأبيات أصول من فلسفة اقبال :

يدعو الى السير الدائب وهجر المحمل ولو فى صحبة ليلى ، والى المضى والتقدم والنماء ، فهو يدعو جدول الماء أن يسير حتى يصير نهرا ، والى السيطرة على هذا الكون والعلو عليه حتى لا يضل الانسان فيه ، والى أن يحرق الانسان بحرارة ذاته ولا يقبس من أحد نارا ، وألا يذل القلب للعقل ٠

طاوىَ البيداء شوقاً ! أقبِلنْ ... لا تعرّج ، منزلا لا تقبلَن ٠[1]
لا ! وإن سار بليلى محمِلُ ... فامض شوقاً ، محملا لا تقبلن
جدولَ الماء ! تقدم مُسرعاً ... واغدُ نَهْراً ، ساحلا لا تقبلن
لا تَحَرْ فى مَصنَعَ الكون وسرْ ... فى البرايا ، ضَللا لا تقبلن
يا مُذيبَ الحفلِ ! لا تقبل له ... حُرقة ، كن مِشعلاً ، لا تقبلن
كل قلب ذلّ للعقل فقد ... قال ربى أزلاً : لا تقبلن
وحّد الحقُّ وثنّى باطلُ ... شَوْبَ حقٍ باطلا لا تقبلن

---

(١) القافية مردوفة والروى اللام فى منزلا وساحلا الخ ٠

قطعة

إلى عَصبات العُرب ما أنا منتمٍ ولست بهندىّ ولا أنا أعجمى
فقد علّمتنى (الذاتُ) تحليقَ نافرٍ يمرّ على الدارَين غيرَ محوِّم
بعينك أنى كافرٌ غير مسلم وأنت بعينى كافر غير مسلم
فدينُك تعدادٌ لأنفاس مُحجِمٍ ودينىَ إحراقٌ لأنفاس مقدم(١)
تبدّلتَ فالتبديل فى الشرع حكمة فليس يُطيق الظبيُ شِرعة ضيغمَ(٢)
فلست أرى فى بيدِك اليومَ جِنّةً تشبّ بهذا العقل نارَ التقدم(٣)
إذا حاد عن نار الحياة منغِّم فموتُ شُعوبٍ لحنُ هذا المنغِّم(٤)

اليقظة

خِذنُ حق تنبّهت فيه (ذات) كالحسام المصمّم البرّاقِ
نظراتٌ لديه تُشرِقُ فيها ما انطوى فى الذرّاتِ من أشراق
إيهِ عبدَ الآفاق! كيف تدانى رجلَ الله صاحبَ الآفاق
أنت فى البرّ قاعدٌ عن طِلابٍ وهْو فى البحر محرَمَ الأعماق

(١) أنت تدين بالسكون والاحجام فحياتك عد أنفاس ، وأنا أدين بالجد والاقدام فحياتى احراق أنفاس .

(٢) كرر اقبال هذا المعنى ، يقول أن الجماعة اذا ضعفت لم تستطع السير على شريعة القوة فهى تعمل فى تبديلها بدل أن تبدل نفسها .

(٣) يرمز الى هيام مجنون ليلى فى البيداء . والجنون فى شعر اقبال الاقدام فى غير مبالاة .

(٤) اذا لم تكن الألحان ناطقة بحرقة الحياة وكدها فهى مميتة للهمم

تربية الذات

ربّبِ « الذاتَ » بالرعاية تُبصرْ
(كفَّ ترُب)يُشيع فى الكون نارا [1]

إن سرَّ الكليم فى الدهر بيِدٌ
وشُعيبٌ والرعىُ ليلَ نهارا [2]

حرية الفكر

بحرية الأفكار هُلك جماعةٍ إذا لم يكن فيها تَدَبُّرُ عالِمِ
فحرية الأفكار فى رأس جاهلٍ طريقٌ لِرَدِّ الناس مثلَ البهائم

حياة الذات

إنِ الذاتُ حيَّتْ فالفقير مملَّك ترى طُغرَلاً أوسَنجَرالا يشاكلُ [3]
إنِ الذاتُ حيَّت فالبحار ضحاضح إنِ الذاتُ حيَّت فالحزون خمائلُ
ترى فى الحياة الوحشَ قاهرلجّه وفى موته موج السراب سلاسلُ

---

(١) تكثر الكناية عن الانسان بكف من تراب أو قبضة من تراب .

(٢) يعنى فسحة البيداء وتربية روح عظيمة كشعيب ، والجد الدائب .

(٣) طغرل وسنجر من ملوك السلاجقة .

حكومة [1]

يَرضى المريدون قول حقّ ليسوا عن الحق بالعُتاةِ
والشيخ قولَ الفقير يَقلِي وليس للحق بالمُواتى
قد قعدت أمة وباءت فى حَلبة السعى بالخَزاة
إن شغلت عقلَها ببحث فلسفةُ الذات والصفات
دستورُ ذا الديرِ ليس فيه للخمر والشَرب من ثَبات [2]
لكنما راحُهُ نصيب لأمة حُرة السِمات
الشهد عند الشباب فيها المرّ من مورد الحياة

المدرسة الهندية

إقبالُ أقصِر، هنالا تُعرَف الذاتُ فما لمدرسةٍ هذى المقالاتُ
الخير ألاّ تُرَى فى عين قُبّرة من البُزاة مقامات وحالات
فلحظة الحرّ عام للذليل فكم تبطىء السيرَ بالعُبدان أوقات
ولحظة الحرّ من خُلدٍ رسالتُه ولحظةُ العبد من موتٍ فُجاءات

---

(١) بمعنى حكم .

(٢) يكنى عن الدنيا بالدير القديم . وقد حذفت القديم فى الترجمة .

وفكرةُ الحرّ من حقّ منوّرة ... وفكرةُ العبد تغشاها الخرافاتُ
كرامة حيّة بالحرّ ماثلة ... والعبدَ من غيره تأتي الكراماتُ
حسب المُقيّد تعليما وتربية ... تصويره والحوت والنباتات[1]

التربيــة

فرق علم وحياة ... ليس فيه من خفاء
هو فى الرأس ذكاء ... وهى فى القلب ذكاء[2]
قدرةٌ فى العلم تبدو ... ومتاع وثراء
مُعضِلٌ أن ليس فيه ... فى خُطىَ السير اهتداء
وأولو الأبصار نزر ... وأولو العلم زهاء
ليس بِدعاً أن كأسا ... لك من راحٍ خَلاء
ما طريق الشيخ فى المكتب ... للقلب ضياء[3]
كيف بالكبريت إشعا ... لُ سراج الكهرباء ؟

(١) يعنى حسب الذليل أن يعنى بهذه العلوم والفنون لا تدرك نفسه معانى الحياة السامية التى تسيطر بها على العالم .

(٢) ذكاء = اتقاد .

(٣) المكتب ـ المدرسة . وفى تركيا المدرسة خاصة بالعلوم الدينية والمكتب لما يسمى مدرسة فى مصر . والكلمة بعينها فى الأصل .

الحسن والقبيح

هنا رأى لاقبال في الحسن والقبح متصل بفلسفته فى الذات وقوتها وعلوها • يقول ما تدركه الذات فى اعتلائها جميل ، وما تدركه فى استفالها قبيح •

إنّ للفكر طُلوعا وغروبا　　كنجوم سابحاتٍ فى العوالى
عالمَ الذات به عُلْو وسُفل　　واعترِاكُ القبح فيه والجمالِ
فى اعتلاء الذات ما يبدو جميل　　وقبيح ما بدا فى الاِستفال

موت الذات

من ممات الذات فى الغرب ظلام　　و بموت الذات فى الشرق جذامْ
من ممات الذات فى العُرب خمود　　ولدى العُجم عروق وعظام
من ممات الذات فى الهند جَناحٌ　　هِيض فى الأقفاص والعشُّ حرام
من ممات الذات يُعرى مسلما　　من ثيابٍ سادنُ البيتِ الحرام(1)

(1) فى الأصل « شيخ الحرم يبيع ثوب الاحرام ويأكله » والمعنى أن موت الذات قعدت بالمقيمين فى الحرم عن المساعى وسوغت لهم سفساف الأمور فطوعت لهم أنفسهم أن يأخذوا ثوب الاحرام ليعيشوا به •

ضيف عزيز

ضمير أولى المدارس فى ازدحام   بأفكار كما امتلأ القفيزُ
وهذا العصر ماض فى هواه   جميلا من قبيح لا يميز
ففى جَنَبات قلبك أخلِ بيتا   عسى يثوى به ضيف عزيز (١)

العصر الحاضر

فأين يصيب المرء ناضجَ فكرةٍ
وأجواء هذا العصر لا تُنضجُ الثمَّر
مدارسُ فيها كلُّ عقلٍ محرَّرٌ
ولكن بها الأفكارُ عِقدٌ قد انتثر
أطاحت بعشق الغرب أفكارُ ملحدٍ
وعبّدَ عقلَ الشرق فَوضى من الفِكَر

طالب العلم

يريد اقبال بالتعليم ايقاظ نفس الطالب وتحريكها واثارتها للنظر ، وحفزها للمطالب العالية ، لا تلقينها مسطورات الكتب ، فهو يقول :

الله يحبوك عِلماً   بمانجات العُباب
فإنّ بحرك رَهْوٌ   ما يُبْتلَى باضطراب

(١) ينبغى أن يخلى القلب حينا من الأفكار المتزاحمة التى تشغله ليفزع للواردات النفسية والمعانى الروحية العالية .

لن تســـــتطيع فراغا　　في السِّـفْر من أبواب
فأنت قارى كـتاب　　ولستَ أهلَ كـتاب

امتحــان . . .

فى الأبيات التالية يضرب اقبال مثلا لرأيه فى أن الكد والجهد يقويان الانســـان ويرفعـــانه ، وان الحياة لا تكمل دون عناء – يمثل بالنهر المنحدر من الجبل يهوى من صخر الى صخر الخ ٠

قال نهـــر الطود يوماً للحجر :　　بســـقوطٌ وانتكاس تفتخر !
أنت للأقـــدام والغمّ لـقًى　　وأنا يشــتاقنى بحـــرٌ وبَرّ
لم تُدَهْدَه من جِــدَارٍ مرّة　　كيف تُدرى أزجاجٌ أم حجر؟

المدرسة

يقول اقبال ان المدارس وسيلة الى الوظائف وسبيل الى المعايش وهى لا تقدم بالانسان على جهاد الحياة بل تهبط بالفطرة ، وتحجب عن الانسان أسرار الخليقة ٠ وان يكن عنى مدارس الهند فما أشبه كثيرا من المدارس بها ٠

مَلَكُ الموتِ عصرُنا يتــوفّى　　كلَّ نفس بفــكرةٍ فى المعاش
يَرجُف القلب من كفاح حياة　　وهى مَوتٌ لمُشفِقٍ من هِــراش
أبعدَ الدرسُ عن حِجاك جُنونا　　صــاحَ بالعقل: لا تَلَذْ بنِقــاش(1)

(١) جنون يقول للعقل أقدم ولا تتعلل بالجدل وتلذ بالمعاذير ٠

عينُ صقرٍ مُنِحتَها وعليها وضع الرق نظرة الخفّاش

حجبت دونك المدارس سراً هو فى البيد والرواسخ فاشِ

الحكيم نيتشه

اقبال يعجب بنيتشه الفيلسوف الألمانى وفى فلسفته شبه بفلسفته ، ولكنه يأخذ عليه أنه عرف العقل لا القلب وأدرك العلم لا العشق . وهنا يقول : لم يكن « لنكتة التوحيد أهلا وأنه كان ضرورة عفا ولكن كان يتشوف الى لذة الأثم فيكثر الحديث عنها (أنظر المقدمة)

أى قدر لذا الحكيم ولكن لم يكن أهل نكتة التوحيدِ

ليس إلا لذى البصيرة يبدو سرُّ معنًى بـ (لا إله) بعيدِ

أرسلَ الفكرَ أسهما فى سماءٍ وحوى الشمسَ بالخيال المديد

طاهرُ الطين فى الترهب لكن لذة الاثم نُصبُ طَرْفٍ حديد

الأساتذة

إن كان تربيةُ الياقوتِ مقصدَنا فما شعاعٌ رمته الشمسُ حيرانُ[1]

وما المدارس أو ما الدارسون بها وللروايات عمّ الأرضَ إذعانُ

كانت جديراً بقودِ العصر أدمغةٌ يقودها العصر مافيهن نُكرانُ

(١) يقول الطبيعيون القدماء ان العقيق والياقوت ونحوهما من الأحجار النفيسه تنضج بأشعة الشمس . ويقول اقبال : ان كان القصد تربية النشء فلا تجدى هذه الأشعة الحائرة المتفرقة . تربية النشء تقتضى أن يؤثر الأساتذة فى التلاميذ تأثير أشعة الشمس المتجمعة فى الأحجار النفيسة .

قطعة

يبلغ المنزلَ ســـارٍ لاينامْ	مُسرِجٌ عينَ هِزبْرٍ فى الظلامْ
إنّما للعبـــد تُمنَى راحةٌ	ليس للحرّ على الأرض حَمام
قد أزاغ العينَ فى الغرب سَـنًا	لك من صاحب (ما زاغ) إمام(١)
ذاكم الحفل الذى أكؤسـه	كنجوم ، لَمحةٌ فيـه المُقام
أعمَتِ الأسـفارُ حِسّـا فالصَّبا	لم تعطِّر لك مَن روضٍ مشـامّ(٢)

الدين والتعليم

قد عرفنا قدرَ أشـــياخ الحَرَم	كلُّ دعوى دون إخلاصٍ سَقَم
ولتعليم النصـــــارى نغمٌ	ليس من دينٍ وخُلْقٍ ذا النغَم
تـكتب الذلَّ على أقـــدارها	أمّةٌ بالذات فيهـــا لاتُهَمّ
ربمـــا تَغفر للفرد ولا	تغفِر الفطرةُ آثـــام الأمم

(١) يشير الى الآية فى سورة (النجم) « ما زاغ البصر وما طغى » . وصاحب ما زاغ هو الرسول عليه السلام .

(٢) يعنى أن العكوف على الـكتب أمات الحس . فالصـبا تمر على الروض وتأتى اليك فلا تشم رائحة الروض فيها . حجبت الكتب عن النفس ادراك المعـانى الروحيـة العـالية وأغفلت الانسـان عن وحى الكون .

إلى جاويد

جاويد ابن الشاعر وباسمه نظم « جاويد نامه » الديوان الخالد · وجاويد اليوم يطلب العلم فى لندن أرسلته اليها حكومة باكستان ·

والأبيات الآتية معارضة لشعر نظامى الجنزى (الكنجوى) الذى ينصح فيه ابنه · وقد ختم اقبال كل قسم من الأقسام الثلاثة الآتية التى قسم اليها نصيحة جاويد ببيت فارسى من أبيات نظامى التى نصح بها ابنه · ونظامى من أئمة شعراء الفرس ·

— ١ —

حَربٌ على الأديان ذا الزمانُ ... مركَّبٌ فى طبعه الكفرانُ
سُدّة أهل الله — فاطلُبْنها — ... أرفعُ مما شيَّد السلطان
لكنه « والحقِ » عصرُ سِحرٍ ... السحرُ فى أموره ميزان
عينُ الحياة ماؤها نَضُوبٌ ... فأين راحُ الليل والرَّيحان
من كان فى نظرتهم سِهامٌ ... منهم خلا الكُتّاب والديوان
لكنما الدار التى سراج ... أنت لها مَذاقُها عِرفان[1]
ان تك (لا إله) فى ضمير ... فالغرب من تعليمه أمان
عُشَّك فوق (الذات) أحكِمَنه ... ثم اطرَبْن ماشاءت الأغصان
الآدميُّ يا بنيَّ بحرٌ ... فى كل قطرةٍ به طوفان
مِن حَبَّة ترى ألوفَ حَبَّ ... إمّا جفا راحَتَه الدِهقان

لاتغفلَنْ فلاتَ حين لعِبِ
العلمَ حصِّلْ واستهِنْ بالصَعب

(١) يعنى دار اقبال التى نشأ بها جاويد ·

ان لم يكن فى الصدر حرُّ قلب　　لم تنضجِ الحياةُ فى هُمام
ان ينشَطِ الغزالُ فى ذَكاء　　لم يظفرِ الصيادُ بالمَرام (١)
ماء الحياة ها هنا قريب　　طريقُه حرارةُ الإقدام (٢)
فى غيرة أرى طريقَ حقّ　　الفقرُ بالغيرة فى تَمام
يا قرةَ الأعيُنِ مستحيلٌ　　لباشق ضَراعةُ الحَمام (٣)
ليس المقالُ فى الأنام نزرا　　كم أنوريّ عندهم وجامى (٤)
وانما بين الورى متاعى　　نُواح خالٍ فى دُجى الظلام
وصدقُ أقوالٍ بها ترانى　　فى نظر الدنيا من الكرام

(١) انما يصاد الصيد حين يغفل أو يبطىء · فان كان يقظا وثابا لا يظفر به الصياد . فالانسان لا تخضعه الحادثات ان صحبة الذكاء والاقدام ·

متى تحمل القلب الذكى وصارما ✻ وأنفا حميا تجتنبك المظالم

(٢) ماء الحياة يوجد فى هذه الدنيا والسبيل اليه الجد والكد ، وشدة العطش · كما قال فى رسالة المشرق :

غصن الحياة ندى ✻ من ظمئنا فى الطلاب

(٣) الباشق ضرب من الطيور الجوارح · ولا يذل الباشق كالحمام · فكذلك الكرام لا تضرع ضراعة الحمام ·

(٤) ليس الكلام فى الناس قليلا فكم فيهم من شاعر مثل الأنورى والجامى · وهما من كبار شعراء الفرس ·

موهبـــــةُ الخلاّق لا تُراثٌ نبـاهة الذكـر على الأيّام
لنور عينيـــه يقول نصحا ما أجمـل المقـالَ من نظامى (١)

أبوّتى ليست بذات بالِ
فى حَلبــة السبقِ إلى المعالى

-٣-

عبءٌ على المؤمنِ ذى الليـالى الدينُ والدولةُ فعـلُ هازى
ولا أرى نشـوان فى كِفاح فليس الاكَـلِمُ نَـوازى
فان تـكن ذا همـة فأقدم وابتغ فقراً أصـله حجـازى (٢)
الآدمىّ منـــه فى صِـــفاتٍ كالله مســـتغنٍ بلا إعواز
هـــذا المَقام للبُغـاث حَتف فإنما هـــذا مقام البـازى
تُضىء عينُ العقل من سَناهُ ما بابن سينا كُحِلت والرازى
سطوةَ (محمودٍ) تُصيب فيـه إن لم يـكن طبعُك من إياز (٣)

---

(١) نظامى شاعر فارسى كبير ذكر فى مقدمة هذه الأبيات ·

(٢) فقر نسب الى الرسول الحجازى · راجع المقـدمة فى الكلام على الفقر ·

(٣) السلطان محمود بن سبكتكين وغلامه اياز يشيع ذكرهما فى الآداب الاســلامية الشرقية · وضرب محمود واياز هنـا مثلا للعظمة والحقارة ·

فذاكَ فى دنيـــاكَ إسرافيـلٌ   من نَفَخات النـايِ فى اشمئزاز[1]
نظرتُه المثـيرةُ الليـــالى   سـاريةٌ بالـكون فى ارتجاز
وصاحب الفقر الغيورِ هــذا   بلا سـلاح فى الزمان غازى
إمارة المؤمن فيـــه سِرٌّ
عطيّـةُ الوهاب هـذا الفقر

(١) فذاك ٠ اشـارة الى الفقر فنفسـه لا يلائم النـاى ولكن صور اسرافيل ٠

القسم الثالث

المرأة

الرجل الأفرنجى

كم حكيم قد تمنّى حلّه   مِشكلَ المرأة فى هذى الحياةِ
لا تلُمْها فى فساد شائع   شهدتْ بالطُهر كلّ النيِّرات
عِشرة الأفرنج نَهجٌ مُفسِد   جهِل الحمَقى طباع المحصَنات

سؤال

إلى عالم الغرب من أسلست   له الرومُ والهندُ يُزجى سؤالْ :
كمالُ معاشرةٍ عندكم   حِيالُ النساء وعُطْلُ الرجال ؟ (١)

حجاب

أرى فلكا كلّ حين لِلون   ولم تَنضُ دنياك هذا الأهابْ
ولا فرق ما بين عِرس وعِرس   فذى فى نقاب وذا فى نقاب (٢)
ولم يزل الناس رهنَ حجابٍ   ومن برزتْ ذاته من حجاب ؟

---

(١) الحيال الخلو من الحمل .

(٢) نقاب الرجل والمرأة فى هذا البيت يفسره ما فى البيت الذى بعده ، أن الذات لا تزال فى حجاب . والعرس الزوج للرجل والمرأة .

الخلوة

فَضَحَ العصرَ جِنّةٌ بالسفُورِ　　نُورُ عَيْنٍ وظُلمةٌ فى الصدورِ
إن تَجُزْ متعةُ العيـون مَداها　　كان فيها الشتاتُ فى التفكير
قطرةُ المـاء لا تُحوِّل دُرًّا　　دون أصدافها بقاع البحور
تُمسكُ الذاتُ نفسَها حين تخلو　　لا خلاءٌ بمسجد أوديور

المرأة

إنما المرأة لَون　　فى رسوم الكائنات
لَحْنُها ينفث نارَ الوَجد فى صدر الحياةِ
ذلك الطينُ تعالى　　فوق أوْج النيِّراتِ
إنها دَرجٌ لديها　　كلُّ دُرّ من صفات
مالأفلاطون تَروِى　　من قضايا معضلاتِ
وهْو منها كشرار　　من ذكىّ الجمَرات (١)

(١) يعنى ان المرأة لا تتفلسف ولكن تلد الفلاسفة ٠

حرية النساء

قضيةُ عصرٍ لست فيهــــا بفَيْصل
وإن كنتُ بين الشهـد والسمّ أفرِقُ
وما نفعُ أقـــــوال تزيد مَلامتى
وقبلاً بنـــــو التمدين عنّى تفرقوا
يبيّنُ هـــــذا السِرّ وِجـدانُ مرأة
ويعجز عنـــــه فى الرجال المحقق :
أحرّية النسوان أجمـــــلُ زينةً
أم الجيـــــد بالدرّ الثمين يطوّق (١)

حصانة المرأة

فى الصدر حقّ ليس يُدركه   من حاز بردَ دِمائه عَصَب
حفظ الأنوثة فى يدىْ رجل   لا العلم يحفظها ولا الحُجُب
إن غاب هذا الحق عن أمم   فكسوف شمس فيهمُ كَثَب

(١) هــذه قضية لا يفصل فيهــا الا المرأة : أحرية المرأة كما نرى اليوم أحب اليها أو غل عنقها بعقد من اللؤلؤ فى رعاية زوج وصيانة بيت .

المرأة والتعليم

مَوْتَ الأمومة إن رامت حضارتُهم — فالموتُ عاقبـة الإنسان فى الغربِ
إن يجعـل المرأةَ التعليمُ لا امرأةً — فالعـلمُ مَوتٌ يراه صاحبُ القلب
إن تحرمنّ الفتـاةَ الدينَ مدرسةٌ — فالعلمُ والفنُّ موتُ العِشق والحبّ(١)

المـرأة

بغيره يتجلّى جوهـــــرُ امرأة — ووحده يتجـلى جوهرُ الرجلِ
حرارة الشوق سرّ فى بلابلها — كيانُهـا لذّةُ التخليق كالشُعَلِ
من هذه النار أسرارُ الحياة بَـدَت — والخلق والموت منها فى وغىً زَجِلِ
كذلـكم فى فؤادى للنساء أسى — لـكنها عقدة أعيت على الحِيَلِ(٢)

(١) ان أغفلت المدرسة الدين الذى يحفظ للمرأة حرمتها وحدودها ، فعلمها وفنها موت عاطفة المرأة وذهاب الحب الحق ·

(٢) هو كذلك يرثى للمرأة مما أعدتها الفطرة له وما حملتها اياه · ولكن لا حيلة لأحد فى هذا ·

القسم الرابع

الأدب والفنون

الدين والفن

الدين والفن والتدبير والُخطَب
والشعر والنثر والتحرير والكتبُ
كلٌ يُحيط بمكنون يَضِنّ به ؛
فى صدره يتوارى جوهرٌ عَجَبُ
ومن ضمير سليلِ الطين مطلعُها
لكن لها من وراء الزُهْر مضطرَب[1]
إن تحفظ « الذاتَ » هذى فالحياة بها
أو لم تطق ذاك فهى السِحر والكِذب[2]
كم أمةٍ تحت هذى الشمسِ قد خَزِيتْ
إذ جانب الذاتَ فيها الدينُ والأدبُ

التخليق

جِدّةُ الدنيا بتجديد الفِكَر ليست الدنيا بصخر ومَدَرْ
همّةُ الغائص فى « الذات » لها من غدير الماء بحرٌ قد زَخَر

(١) سليل الطين = الانسان .
(٢) الدين وسائر ما ذكره فى البيت الأول مقصدها حفظ الذات الخ

قاهرُ الأيام مَن أنفاســـه   هى أعمـارُ خـلودٍ فى الدهَر
رِيحُ أصحاب من البِيد أتت   لا عجيبٌ إن بدا خِدْن سفرَ[1]

جنون

واهنُ البيت شــاعرٌ وفقيه   وطوى البيدَ ـ ويحه ـ المجنونُ
فى طماح الجنـون أىّ كمالٍ   حين تعدو البيداءَ منه فنون[2]
فله فى الدروس أيضاً مجـالٌ   ليس وقفاً على الفيافى الجنـون

إلى شعره . . .

لىَ من فعلك شـكوى :   همتَ فى حُبِّ الطـلوعْ
شِــغتَ عن قلبيَ فالأسـ   ـرار عن قلـبى تَشـيع
لا تكـن مثـلَ شَرار   نـدَّ عن نـارٍ يضـيع
والتمس خـلوةَ صـدر   فيـه من نـار ضـلوع

(١) يعجب أقبال بالبادية ؛ لأن الذات فيها أقوى ، ولذكرى الرسول وأصحابه الذين أخرجوا للعالم الحياة والقوة . وهو يجد من البادية ريحا تبشر بصاحب مسعد له يدعو دعوته ويحقق أمله .

(٢) ان تجاوز البيداء الىالحضر فنونه ، وفيه اشارة الىمجنون ليلى .

مسجد باريس

يا نظرى لا يخدعنّك فنُــه　　للزور هــذا الحرَم المغرِّبُ
وليس هــذا حرَماً لــكنه　　عنــد الفرنج للغرام ملعب
قدأخفت الإفرنج روحَ مَوثَن　　فى صورة من حرَم تُــكذَّب[1]
إن الذى شيّد هــذا موثنا　　دمشق من عُــدوانه تخرّب

الأدب[2]

بهذا يُجمل الشاعر طريقة الأدب الحديث ، فهو مزاج من القلب والعقل . وهو يجدد الروح فى صــور قديمة أو يحرر من التقليد الأرواح العتيقة .

رأيت العشق يقفو اليوم نهجا　　من العقــل الإلهىّ القويم
وليس يُريق ماءَ الوجه ذلًّا　　على عَتَبــات محبوب غريم
محا التقليــدَ فى روح قديم　　وأحيــا الروح فى جسد قديم

البصـــيرة

الربيع النضــيرُ مِلءُ الفضــاء　　وجيوشُ الشقيقِ فى الصحراء
وشــبابٌ ومتعــــة وسُرور　　ودلالٌ ونشوة بالفَتـــاء[3]

(١) الموثن ــ معبد الأوثان .
(٢) كتبت فى بهوبال ــ رياض منزل ــ دار السيد راس مسعود .
(٣) الفتاء الشباب .

وعيون النجوم فى حَلَك الليل وسَبْح الأفلاك فى الدأماء[1]
وعَروس الهلال فى هَودج الليل تَهادى بموكبٍ للقاء
وتبدِّى ذُكاءَ فى رَونق الصبح وصمتُ الأفلاك فى ذا الرُواء
سرِّح العينَ، لاتكلَّفُ أجراً لا يباع الجمالُ فى ذا الفضاء

مسجد قوة الاسلام[2]

تملأ صدرى همومُ مفئودِ لم يبق إلا ادْكارُ مفقودِ[3]
قد خمدت «لا إله» لا حُرَقٌ ولا تجلٍّ ثواءَ ملحود
فى الخلق كل العيون تنكرنى أعيا ايازاً مقامُ محمود[4]
من صَخرك المسلمونَ فى خجَل لجوهرٍ كالزجاج معدود[5]
فإنما كفءَ ما تُمثّله صلاة حُرٌ ربيبِ توحيد
جلالُ تكبيره لذى أذُنٍ فيه وغىً هالكٍ وموجود
وما صلاتى بقلب ذى حُرَق ولا دُعائى دعاء معمود
ولا أذانى جلالُ مقتدر فكيف ترضى سجودَ رِعديد

---

(١) الدأماء البحر .
(٢) مسجد عظيم شامخ فى دهلى هدمت بعض جدره .
(٣) المفئود حزين الفؤاد .
(٤) السلطان محمود واياز مولاه أى لا ينال العبد مقام السيد .
(٥) لجوهرهم الضعيف كالزجاج .

مسرح

تضيء حريمَ وجودك ذاتُك ... كِفاحٌ بها وسرورٌ حياتُك
لها فوق أوج الثريا مَقام ... جُليتَ بها وتجلّتْ صِفاتك
أمِن « ذات » غيرك تَعمُر قلباً ... معاذ الإله ! ترَى أين ذاتك ؟
فلا تبعثنْ وُثنَها بعد موت ... فتحيا مناتُك فيها ولاتُك[1]
كال المحاكاة أنك تفنى ... فيكفيك همَّ الحياة مماتك[2]

شعاع الأمل

لعل الشاعر يعنى نفسه بشعاع الأمل . الشمس يئست من اضاءة فى الشرق أو الغرب فدعت أشعتها اليها ، فجاءت الأشعة الى صدر أمها معترفة بيأسها الا شعاعا جريئا يقول للشمس : ذريني أضيىء الشرق ولا تيأسى فكل ليل الى صباح . الشاعر يرى فى أمله ودعوته فى الشرق هذا الشعاع .

— ١ —

تنادى أشعتَها فى ضجَر ... ذُكاءُ وتجمع منها النشَر[3]
عجبتُ لدنيا نهار وليل ... عجبتُ عجبتُ لدنيا الغِيَر
إلام الهُيامُ بهذا الفضاء ... وجَورُ الزمان بكنّ استمرّ

(١) الوثن جمع وثن . ومناة واللات صنمان ذكرا فى القرآن .
(٢) كمال التمثيل أن يفنى الممثل فيما يمثله . فعليك أن تفنى فيمن تحاكيه ما دمت مقلدا فتستريح من عناء الحياة .
(٣) النشر ــ المنتشر المتفرق .

فلا دعةٌ في اتقـادٍ برمل تَلألأُ ذرّاته كالشرر
ولا دعَةٌ في دوام طواف طوافَ الصَبا في رياض الزهَر
تجمّعْنَ في صـدرىَ المستنير ودعْنَ البداةَ ودعن الحضَر

— ٢ —

تداعى الأشعةُ من كل صَوب إلى الشمس تبغى لديهـا قرارا
وصاحت : تعذَّر في الغرب نورٌ دُخانُ المصانع يكسوه قارا
وفي الشرق قلب بصير ولـكن كعـالَم غيبٍ بصمتٍ توارى
أنورَ العوالِم ! لا تهجُرينـا إلى نور صدرك آوى الحَيارى(١)

— ٣ —

شُـعاعٌ جرىءٌ له نظـرة كنظرة حوراءَ تغزو الضميرْ
ولا يسـتقر على حالة ترى زئبقاً في ضـياء يمور
يقول : أُضيىءُ على الشرق حتى أرى ذَرّه كشموس تنـير
وأجلو عن الهنـد هذا الظلام فأوقظُ نوّامهـا للنشور
ففيهـا من الشرق آماله « و إقبـالها » بالدموع مَطير
تضيء بهـا أعين النـيّرين حصـاها يَلوح كدرّ منـير
وكم عاش في أرضـها غائص يرى كالضحاضح لجَّ البحور

(١) الخطاب للشمس .

فأعوزَ أعوادَها عازفٌ وكانت تَهيج الجوى فى الصدور
ينام البَرَهْمَنُ فى سُدَّةٍ لدى مَوْثَن والزمانُ يسير
ومسلمها خِذْنُ محرابه ينوح ومن قَدَر يستجير
فلا يحزُنَنكِ من الشرق نوم وفى الغرب لا ترهبنَّ الشرور[1]
قضت فطرةُ الله أن تبْدِلِى بليلِ الظلام صباحَ السفور

أمل[2]

لستُ من أجناد حرب لا ولا ربُّ لواء
بيد أنى فى صروف الدهر ثَبْتٌ فى اللقاء
عُدّتى ذكر وفكر وهُيام وغناء
لست أدرى أهو شعر أم سواه ذا العطاء[3]
إن عبد الحق يُزهَى فى محيّاه ضياء
من جلال ظلّ فكرُ الكون منه فى امتلاء
ليس دون الكفر إن لم يك كفراً ذا البلاء :

---

(١) الخطاب للشمس

(٢) كتب فى بهوبال – رياض منزل (دار السيد راس مسعود) .

(٣) هو يدرى أنه وهبه الذكر والفكر والهيام والفناء ولا يدرى أهذا شعر أم شىء آخر .

أن يُرى بالحاضر المشـــهود للحـــرّ سِـباء [1]
لا تذب غمّاً فكم فى الدهـــر أدوارٌ وِضــاء
كم نجـومٍ حادثـات سوف تجـلوها السماء

البصيرة

لم تُخفِ هذى الـكائناتُ ضميرَها شوقُ الظهور يثور فى ذرّاتها
إن صاحبَ النظَراتِ شوقُ بصيرة تتبدّلِ الأيامُ فى جَـــلَواتها [2]
من ذى البصيرة فى الليالى قد غدا أبنـاءُه من خضعوا لها ساداتها
من ذى البصيرة لى جنـون ثائر عَرفت به الذراتُ طيَّ فلاتها [3]
هـذى البصيرة لا تيسّر لامرىء تَخْزَى القلوبُ بنفسه وسِماتها

---

(١) ليس أقل من الكفر أن يأسر الحر ما يراه ويشـهده فيقيـد به فكره وعمله · فالحر لا يقيده ما يسمى « الأمر الواقع »

(٢) يعنى أن نظرة البصيرة تنفذ الى حقائق الاشياء فترى الدنيا على غير صورتها الظاهرة ·

(٣) الجنون ، هو الحماس والاقدام · ويعنى الشاعر أن بهذه البصيرة ثار هذا الجنون فى نفسه فهذه الذرات التى تطوى الفلاة تعلمت من جنونه طى الفلاة · والشاعر يقرن الجنون بالفلاة اشارة الى قصة مجنون ليلى (تراجع المقدمة فى معنى الجنون) ·

إلى أهل الفن

مذهب الشاعر أن الفن ينبغى أن يحرر من محاكاة الطبيعه ، وينبغى أن يصور « ذات » صاحب الفن . فالكواكب لمحات من نور لا ثبات لها ، و « الذات » العاشقة خالدة . وضمير الانسان لا تحده الألوان ، والذات تخلو للذكر والفكر ، وتظهر للشعر والانشاد غير خاضعة لهذا العالم . والروح المستعبدة فنها عبد ، والروح المقدرة نفسها تسيطر على كل شيء .

رأيت الكواكبَ لَمْحاتِ نور ... وذاتُك بالعشق رَهنُ خلودْ
تعالى ضميرك عن كل لون ... فعفتَ من اللون كل القيودْ
وغيبةُ ذاتك ذكر وفكر ... ومحضرُها شعرُها والنشيدْ
إذا أضنَت الروحَ آلامُ رقّ ... ففنُّك عبدٌ رهينُ سجودْ
وإن عرفَت قدرَها كنتَ حقاً ... على الجن والأنس ربَّ الجنودْ

قطعة

ثائِرَ الموج كم لدى البحر درٍّ ... وعلى الساحل الصَّموت غُثاء(١)
فى شَرارى سنا البروقِ ولكن ... رَطبة العُود هذه القَصباء(٢)
ولك الوقت والتصرّف فيه ... ليس يا غِرُّ ! للنجوم غَناء

(١) الدر فى ثورة الموج وليس فى سكون الساحل الا الغثاء فالحياة جد وكد ، لاسكون .

(٢) شرارى يحرق كالبرق ، ولكن هذه النفوس كالقصب الرطب لا تشتعل .

قد رأينا عجيبةً من جنونٍ فيه رَفوٌ لما يشقّ القضاء[1]
إنما الكامل الخلاعةِ شهمٌ دون منّ الكروم فيه انْتِشاء[2]
وإلى اليوم حانةُ الشرق فيها خمرةٌ للشعور منها جَلاء[3]
يئس المبصرون من أمم الغرب ففيها بَواطنٌ سَوداء

الوجود

أنت تحت الشمس تَمضى كشرار لستَ تدرى ما مَقاماتُ الوجودْ
ليس فى فنّك للذات بناء ويلُ تصوير وشدوٍ وقصيدْ
ليس فى المكتب والحانة إلا درس إفناء به الذات تبيدْ
ليت شعرى هل تعلمتَ وجوداً لحياة ودوام وخلودْ

الغناء

صاح من أين لناىٍ نشوةٌ ؟ صَوتُ عُود ذاك أم من قلب حىّ ؟
صاح ما القلب ؟ ومن أين له قوةٌ سَكرى تَحدّتْ كل شئ

---

(١) بعض الجنون يغير ما يظنه الناس قضاء ، فهو يرفو ما يمزقه القضاء ، أى يصلح فى هذا العالم مذللا الطبيعة وما يحسبه الناس قضاء وقدرا فى هذا الكون ٠
(٢) رجل نشوان بفكره وعمله مقدم بنفسه فى غنى عمن يؤثر فيه سكران بغير خمر ٠
(٣) الخمر المؤثرة تحجب الشعور ولكن خمرة الشرق لا تؤثر فهى تزيد الشعور جلاء ٠

ولمـــــاذا نظرة منـــه سرت | مثلَ ريحِ صرصرٍ فى تَخت كَى[1]
ولمـــــاذا ذلك السـرّ له : | من حياة فيه يحيـا كلّ حىّ[2]
ولمـــــاذا كلَّ حـين مبـدلٌ | واردات زُمـــرًا تهفو إلىّ
ولمـــــاذا صاحبُ القلب ازدرى | ملكَ روم ومُنَى شــام ورىّ
إنْ وعى للقلب رمـزاً مطربٌ | طُـوِىَ الفـنّ له أسرعَ طىّ[3]

النسيم والنـدى

النسيم :

لم أرقَ فى فلك النجوم وإننى | فى شقّ أثواب الأزاهـر أعملُ
وأسيرُ عن وطنى غريباً مجبَراً | فى مسمعى شدوُ البلابل يثقل
قل لى،فقد أعطيت سرّ كليهما ، | المرجُ أم فلكَ الكواكب أجمل[4]

الندى :

لو لم تكن فى المرج رهنَ هشيمه | لرأيته سرَّ الكواكب يحمل[5]

---

(١) كى — كيكاوس أحد ملوك الفرس القدماء ، وفى الأساطير أنه كان له تخت يطير به .

(٢) لماذا خص القلب بهذا السر ، أن بحياته تحيا الامم .

(٣) ان عرف المطرب رمز القلب فأرسل فى نغماته خفقات القلوب ، طوى مراحل الفن فبلغ غايته دون عناء .

(٤و٥ يسأل النسيم الندى وقد هبط من السماء الى المرج ، أيهمـــا أجمل . فيقول الندى لو لم تتعلق بالهشيم ، وتقف عند المظـــاهر لرأيت فى المرج سر الكواكب وما وجدت فرقا بين السماء والمرج .

أهرام مصر

في هذه الأبيات يشيد اقبال بالانسان وقدرته على الابداع ويشير الى ما قال فى أبيات أخرى من أن صاحب الفن لا يحاكى الطبيعة بل يسيطر عليها ويؤثر فيها .

شادت الفِطرة كُثباناً لها ... فى سُكونٍ من يَباب قد وقَد
روّع الأفلاكَ فيه هرمٌ ... أىّ كفّ صوّرت هذا الأبد !
من إسار الكون حرّرْ صنعة ... صائدٌ ذو الفن أم صيداً يُعدّ (١)

مخلوقات الفن

قد رأى ذو بصرٍ سرّ الذات ... وجلا الفنُّ لعين جَنّات (٢)
ما به الذات ولا الكون يُرىَ ... فهو من جهد حياة فى نجاة (٣)
تعس الكافرُ مَن أصنامه ... من حُطام لمناةٍ واللات (٤)
هالكٌ صلَّى عليه فنُّه ... فى ظلام اللحد يرنو للحياة (٥)

---

(١) لم يحاك بانى الهرم كثبان الرمال ، بل شاد هذا الاثر الخالد . فحرر الصنعة من أسر الخليقة . فأن صاحب الفن صائد لا صيد . يأسر الخليقة ولا تأسره .

(٢) ذات الانسان أو مركز وجوده (خودى) فى فلسفة اقبال .

(٣) ليس فى هذا الفن الذات ولا فيه عالم الصباح والمساء فهو فرار من جهاد الحياة .

(٤) المقلد في الفن يتخذ أصناما من بقايا أصنام محطمة كانت فى الاعصر الخالية .

(٥) فى الاصل أنت ميت وفنك امام جنازتك .

إقبال

جلال الدين الرومى أكبر شعراء الصوفية ، ومجد الدين السنائى طليعة شعراء الصوفية الكبار ، ومنصور فى لغة صوفية الفرس والهند هو الحسين بن منصور الحلاج الصوفى المعروف . والشاعر يتخيل أن السنائى قال فى الجنة للرومى : لا يزال الشرق فى أسر القديم . فقال الحلاج قد ظهر مجـــذوب أفشى للناس سر الذات فهو حرى أن يبدل الحياة فى الشرق .

قال للرومىّ فى الخلد سنائى : لا يزال الشرق بالتقليد يُؤسَر
قال منصور : ولكن قد سمعنا أن سرّ الذات أفشاه قلندر (١)

الفنون الجميلة

نظَرات الآفاق مُتعـــةُ عين سرِّحوا العين يا أولى الأبصار
غـير أنى أقـول : ما نظراتٌ لا تجلىّ كوامنَ الأسرار (٢)
مقصــدُ الفن فى الحيــاة لهيب أبدىّ فما وَميضُ الشَرار ؟ (٣)
قطرُ نَيسانَ ! ما اللآلىء إن لم تتـلاطم بها قلوبُ البحار (٤)

---

(١) راجع المقدمة فى معنى قلندر .

(٢) ان لم تنفـذ نظرات صاحب الفن الى حقائق الاشـــياء فما هى بمجدية .

(٣) الفن يصور لهيب الحياة الابدى ، فلا قيمة للفن الذى يخرج شرارا لا يلبث أن يطفأ .

(٤) قطر المطر فى نيسان يخلق منه الدر فى الصدف . يقـــول الشاعر يا قطر نيسان ما قيمة الدر الذى لا يضطرب له قلب البحر . يعنى أن بدائع الفن ينبغى أن يجيش لها قلب العالم .

ما نسيمُ الصباح في الشعر واللحن إذا ما أذوَى سـنا الأزهار (١)
ليس إلا الأعجـاز يحيي ففنّ ليس ضربُ الكليم فيه، عوارى (٢)

صبح المرج

خلاصة ما يؤخذ من هذه الأبيات ان الانسان ينبغى أن يعمل فى هذه الأرض غير غافل عن عالم الغيب ، كضوء الصبح يغشى السهول والجبال ولكنه موصول بالفلك ، وعالم الغيب والشهادة ليسا متباعدين كما قال الندى : ان الطيران يعلم ان الأرض ليست بعيدة من السماء .

الزهرة :

وافدَ الأفلاك ! هل خلت بعيداً موطنى ؟ لا إنه غيرُ بعيـد

الندى :

من يَطِرِ ما بين أرض وسمـاء يتبينْ أنه غـيرُ بعيـد

الصبح :

أقبلن فى الروض كالصبح رفيقاً ليس يؤذى وطؤه قطرَ النـدى
واحضِنِ الأجيال والبيد ولـكن من عُرى الأفلاك لا تحلل يدا

(١) ان كان نسيم الصبح المتمثل فى انشاد الشاعر ولحن المغنى يذبل الزهر فى الروضة ولا ينضره فأى نسيم هو ؟

(٢) حياة الأمم بالاعجـاز ، فالفن الذى لا اعجـاز فيـه عارية لا دوام لها .

الخاقانى

شاعر فارسى كبير ، توفى فى تبريز سنة ٥٨٢ هـ . وله من الكتب « تحفة العراقين » . سجل فيها ما رأى فى العراقين العربى والعجمى حينما مر بهما فى طريق الحج ، وله ديوان ، ومنظومة اسمها « هفت اقليم » (الأقاليم السبعة) .

وهذه الأبيات جاءت فى الأصل فى القافية المزدوجة وعلى وزن = مفعول مفاعلن فعولن . وهو ضرب شائع فى الشعر الاسلامى الشرقى وهو مشتق من الأوزان العربية ولم أجده فى الشعر العربى الا فى أبيات لبهاء الدين زهير أولها .

يا من لعبت به شمول ما ألطف هذه الشمائل

وقد ترجمتها على قافيتها ووزنها لأزيد فى شعرنا مثالا فى هذا الوزن الى أبيات زهير :

ذا صاحبُ تحفةِ العراقَينْ ذو القلب يراه قرة العَينْ

تنشقّ لفكره الستور الحُجْبُ جميعُها تُنير

يجتاز بعالم المعانى لا يسمع قول : لن ترانى (١)

فاسأله بذلك التراب والدهرِ يجيشُ فى عُباب (٢)

---

(١) ينكشف له عالم المعانى فلا يسمع منه (لن ترانى) وهذا رمز الى الآية فى قصة موسى = قال لن ترانى .

(٢) أسأله عن هذا العالم الأرضى وعن حوادث الدهر . وفى القرآن الكريم « فاسأل به خبيرا » أى اسأل عنه .

ذا مَحــــرَمُ عالِم الثواب　　كم دلَّ بموجَز الخطـاب :[1]

« ناهيك بشرّ هـذا العالم　　إبليس ثوى ومات آدم »[2]

الرومى

هو مولانا جلال الدين الرومى صاحب المثنوى . والشاعر يتخذه اماما ويشيد بذكره فى شعره .

ما زال طَرفُك فى خَاْطٍ وفى سِنةٍ　　وعنك ذاتُك فى الأسرار لم تزَلِ

ولم تزل فى صــلاةٍ لا قيامَ لها　　وبالضراعة عزّ الروح لم تَصلِ[3]

ومِزهر « الذات » أوتارٌ مقطّعة　　مازلتَ عن نغمة الرومىّ فى شُغُل

(١) المحرم المطلع على السر . واستعملها شعراء الفــرس وغيرهم فأقرتها فى العربية وليست بعيدة من المعنى الأصلى .

(٢) حسبك تعريفا بهذا العالم أن آدم مات وبقى ابليس أى بقيت نزعات الشر فى هذا العالم . فهو عالم محنة وجهاد . وهذا البيت مضمن من شعر الخاقانى .

(٣) الصلاة قيام وســجود ، يقــول الشاعر انهما رمز الـــدلال والضراعة (ناز ونياز) أى الخضوع والســيادة ، ولكن بعض الناس صلاتهم سجود بغير قيام الخ .

الجدّة

يرى الشاعر أن الانسان لا ينفذ ببصره الى حقائق الأشياء . يقول انك ان صدقت النظر فيما حولك رأيت دنيا أخرى جديدة غير التى تراها وتغير ادراكك هذا العالم وتبين أنه مسخر لك .

إن صدقَتْ نفسُك فى الدهر النظرَ   تُنوّر الأفلاكُ منك فى البُكَرْ

وتستضيء الشمسُ منك بالشَرر   و ينجلى قدرُك فى سيما القمر

والبحر يلقى منك موجاً ذا دُرر   وتستحى إعجازَ صُنعك الفِطرَ [1]

تخذت أفكار الورى مرآتَك   فكيف لا تبلغ حتى ذاتك [2]

مِرزا بيدِل

من شعراء ايران ، ذهب الى الهند أيام السلطان شاه جهان فأكرم السلطان وفادته . وهو شاعر صوفى له ديوان كبير يغلب فيه التعمق وتكثر الدقائق .

وقد أعجب اقبال بفكرة فى بيت لبيدل فبنى عليه هذه الأبيات وهى ان هذا العالم الحسى لا خطر له بل لا وجود له الا عند من ضاق عن ادراك الحقائق الكبرى التى يختفى معها هذا العالم . كالخمر يظهر لونها كأس الزجاج لضيقها . وترجمة البيت فى النثر .

« لواتسع القلب ماظهر هذا المرج   خرج لون الخمر من شدة ضيق الزجاج»

---

(١) تستحى الخليقة من صنعك المعجز ، تراه أحسن منها .

(٢) انك استعرت أفكار الناس فلم تبلغ فى هذه الحياة حتى ذاتك . فقد أضعتها بالتقليد .

ذى سمـــــاء وجبـال وفِجَـاجْ ذاكَ حقّ أم عيونٌ في اعوجاجْ ؟
فرّق الآراء إثبـــــاتٌ ونفىٌ أهى دنيـا أم خداع فى الحجاج ؟
عقـــدة قد حلّهـــا بيدلُ حقاً أعجزتْ مِن قبـله كلّ علاج :
« ما بدا ذا المرجُ لو فى القلب وُسعٌ بان لونُ الخمر من ضيق الزجاج »

الجلال والجمـال

الشـاعر من المعجبين بالقوة الداعين اليها ، وهو يدعى هنا الا جمال بغير جلال . يرى الكمال فى شجاعة على لا فى خيال أفلاطون . ويرى سجود السماء للقوة جمالا ــ وقد تخيل الشعراء أن انحناء السماء فى رأى العين سجود ــ والنغمة التى لا قوة فيها نفخة ضائعة بل لا يحب أن يجازى الا بنار شديدة الالتهاب ..

حَسبي كمالاً قوةٌ من حَيـدر وكفاكَ من أفلاطُنَ الإدراكُ
وأرى جمالا فى بهاءِ أن تُرى فى سجـدةٍ للقوة الأفلاكُ
ولَنغمةٌ من دون نار نفخة ما الحسن إلا بالجلال يُحاكُ
لا أرتضى نار الجزاء ولم تكن وهّاجةً ولهيبهـــــا درّاكُ

المصوِّر

يرى الشاعر أن المصور وكل ذى فن ينبغى أن يظهر ذاته فيما يصور لا أن يحاكى الطبيعة ، وأن المحاكاة موت .

قلّد الغربَ فنٌّ عُجْم وهنـدٍ عمّ هذى البـلادَ موتُ الخيال

شفَّنى الغمُّ أن بِهزادَ عصرى يُفقِـــد الشرقَ بهجةَ الآزال[1]
يا خبيراً بفنِّـــه فيه تمّت صنعةُ العصر والعصور الخوالى
كم تَرَى من خليقة وتُريهـا ! أرِنا الذاتَ فوق هذى المجالى

الغناء الحلال

يرى الشـاعر أن الغناء وكل لحن ، يحل ان كان فيه قوة الذات وحرقة الحياة ، ويحرم ان أضعف الذات ولم يقبس من الحياة ناراً . الغناء يفتح القلب فكيف يفتحه ان أماته . وفى الأفلاك ألحان طبيعية تذيب النجوم ، وتبرىء الانسـان من الخوف والغـم ، وترفع النفس من العبودية الى السيادة الخ . والنغمة الحية التى يحلها فقهاء الذات لا تزال تنتظر مطربا يعلنها .

تفتح القلب نغْمةٌ من غنـاء أىَّ فتح والقلبُ رهنُ هُمود ؟
فى صُـدور الأفلاك لحنٌ خفىّ صـاهرٌ حرُّه نجومَ الوجود
يهجُر الناسَ منه خوفٌ وغمّ وإيازٌ يســمو إلى محمود[2]
تيهُ هذى النجوم يفنَى ولـكن أنت تبقى ونغْمة التوحيـد[3]
قد أحلَّت شريعةُ الذات لحناً لم يزل فى انتظار شـادٍ مُجيـد[4]

---

(١) بهزاد مصور فارسى مشـهور نبغ أيام الدولة الصـفوية . والشاعر يغتم لأن بهزاد عصره يقلد الغرب فيفقـد الشرق البهجة القديمة :

(٢) السلطان محمود بن سبكتكين وخادمه اياز .

(٣) يشبه عالم الـكواكب بالتيـه ويقول انه يفنى ويبقى الانسان ونغمته الموحدة .

(٤) اللحن الذى أحلتـه شريعـة الذات وهو الذى يحيى النفوس ويقويها لم يظفر به أحد فلا يزال ينتظر مطربا .

الغناء الحرام

ما بذكرى من التصوُّف وَجدٌ | أو برأيي ثوابُهم والعـذاب
قرَّب الله مذهبى من فقيـه | عُرفَت عنـه سـنَّةٌ وكتاب :
« إن سَرَت فى اللحون دعوةُ موت | حَرُم النـايُ عندنا والرَّباب »[1]

النافورة

لا يَطبّينى مسيرُ النهر مطَّرِدا | مُسايرا تُربَه جنـباً إلى جنبِ
دع ذاك، وانظر إلى نافورةٍ بَسَقت | تُصَعِّدُ الماءَ منها قـوةُ القلبِ[2]

الشاعر

ينفر اقبال من شعر الرخاوة والذلة ويقول هنا : من ضعفت « ذاتهـم » فليحترسوا من ألحـان العجم فهى تدعو الى الرقة والترف ·

ولابد للشعر أن يكون فى حدة السيف ، ملائما لمعركة الحياة مهما تكن صورته ، كالخمر فى زجاجة أو صراحية ، ينبغى أن تكون محرقة · وليس لشوق الشاعر غاية ففى كل حين طور جديد وبرق للتجلى جديد ·

فى غابـــة الشرق ناىٌ يبتغى نفَسَا

يا شاعر الشرق هـل فى صدرك النفَّسُ ؟

---

(١) هذا مذهبه ؛ الألحان التى تميت النفوس حرام ·

(٢) لا يعجب الشاعر بالنهر يساير الأرض ، بل يعجب بنافورة قوية تقذف الماء عاليا فى الهواء ·

من كان فى ذاته من رقَّةٍ خَــورٌ
فقل له من لُحونِ العجْمِ يحترِس
إناؤها من زجاج كان أو خزف
اجعل بخمرك سيفاً لَمعُه قَبَس
لم تبصرِ الشمسُ من دُنيا يُخال بها
مَجدٌ بغير الجِلاد المرِّ يُلتمَس
طُورٌ جديد ، وبرقٌ كلَّ آونةٍ
لا قرَّب الله للعشاق ما التمسوا

شعر العجم

كم بشعر العُجْم من سِحْرٍ ولكن ... منه سيفُ الذات ذو حدّ كليلْ
صَمتُ طيرِ الصبح أولى من غِناء ... إن سرى باللحن فى الرَّوض ذبولْ
ليس ضرباً ما يشقّ الطود لكنْ ... ليس منه عرش بَرويز يميل (١)
ينحت العصرُ أيا اقبالُ ! صخرا ... فاحذَرنْ من كل ما يُبْدِى الوَذيل (٢)

---

(١) ليس ضربا ما لا يزلزل عرش برويز وان شق الجبل . والاشارة الى قصة فرهاد الذى شق طريقا فى الجبل ولم يظفر بشيرين كما وعده برويز .

(٢) الوذيل جمع وذيلة وهى المرآة . والشطر فارسى من شعر العراقى . ومعناه احذر من كل ما يبين فى المرآة « أى هذا عصر حقائق لا خيالات ، ينحت الصخور ويحطم كل ضعيف فكل ما بدا فى الزجاج فلا تركن اليه .

أصحاب الفن في الهند

تخيُّلهم جَنازةُ كلِّ عشق　　وظُلمةُ فكرهم للحيِّ قبرُ
ومَوثَنهُم به نقش المنايا　　وليس لفنهم بالعيش خُبْرُ(١)
يُنيمُ الروحَ في إيقاظ جسم　　ودون المجد يُسدَل منه سِترُ
يُسخِّر للأنوثة كلَّ شيء　　لهم قَصصٌ وتصويرٌ وشِعرُ(٢)

الرجل العظيم

هو في الحبّ عميقٌ　　وهو في البُغْض عميقْ
قهره فوق عباد الله　　برّ وشفيق
نشَّأته ظلمةُ التقليد　　بالناس تحيق
غير أن الطبع بالإبداع　　والخلق خليق
هو في الجمع خالٍ　　ومن الحَشد طليق
مثلُ شمع الحَفل؛ في الحفل　　وحيد ورفيق(٣)
مثلُ شمس الصبح؛ فِكرٌ　　فيه نُور وبَريق

---

(١) الموثن ـ معبد الأوثان ·

(٢) الفن الهندى يعنى بالشهوات الجسمية ويفتن فى تصويرها فهو يوقظ الجسم وينيم الروح ، ويسخر كل شيء للأنوثة ·

(٣) يكون فى جمع من الناس وكأنه وحده ، له فكره ونظره · مثل الشمعة فى الحفل رفيقة الحاضرين ووحيدة بحرقتها ونورها ·

لفظه حـــــرّ يسير لـكن المعنى دقيق
نظرٌ فيـــــه سديد عن بنِي العصر سحيق
ليس يدرى أىُّ حال فيـــه أشياخُ الطريق

عالم جديد

الرجل العظيم يرى فى منامه أو خياله عالما جديدا فيعمل عزمه فلا يستعصى عليه أن يحقق فى عالم الحقائق ما رأى فى الرؤيا أو الخيال .

وهذا العالم الجديد الذى يخلقه ناشىء من نفسه ، فهيكله جسمه الصغير ، وروحه تكبيره وايمانه وعزمه .

من كان حىّ القلب فى الدنيا فما يخفى عليه من القضاء ضميرُهُ
تجلو له رؤياه كونا مُحدَثا بِدعَ المثال يَروقه تصويره
فإذا جَلا صوتُ الأذان منامَه شادَ الذى فى حُلمه تعبـيره
ولهَيكلُ الدنيا الجديدةِ طينهُ هذا الضئيلُ ، وروحها تكبيره

خلق المعانى

خلقُ المعانى مِن الخلاّق مَوهِبةٌ لـكنَّ للفنِّ فى الفنّان إجهادا
من حرقةٍ فى دَمِ البانى ، مشيَّدةٌ حاناتُ حافظِ آوْزُونات بهزادا[1]
ما جوهرٌ يتجـلّى دون مَجهَدةٍ من ومضةالفأس نارت دارُفرهادا

(١) حافظ الشيرازى الشاعر الفارسى الكبير وحاناته شعره . وبهزاد مصور فارسى مشهور عاش فى أيام الدولة الصفوية . والزونات جمع زونة وهى معرض الاصنام أو الدمى يضرب به المثل فى الجمال والزينة .

الموسيق

دلَّ على بردِ دَمِ المُغـــنِّى لحنٌ له الوجوهُ لا تُنــــيرُ[1]
أنفاسُ زامرٍ سُمــومُ لحَن إن كان لم يَطهُر به ضمــير[2]
بالشرق والمغــــرب فى رياض من الشقيق شاقنى المسير
فما مررتُ بينهـــا بمَـرجٍ شقّت به جيوبها الزُهـور[3]

لذة النظر

أىّ ذات حوَى فتى الصينِ مَن قا ل لجــلاَّده أمام الِحمـامِ :
منظرٌ رائــقٌ ، تمهَّلْ ، تمهَّلْ لأرى لحظةً وميضَ الُحسامِ[4]

---

(١) اللحن الذى لا تنير له وجوه السامعين دليل عــلى برود نفس المغنى وخمود عاطفته ٠

(٢) لابد للمطرب من طهارة الضمير لتكون ألحانه صدى الضــمير الطاهر ٠ والا فأنفاسه فى اللحن سم للسامعين ٠

(٣) زهور الشرق والغرب لم يهج بها الطرب فتمزق جيوبها كمــا يفعل من يغلبه الطرب من حزن أو فرح ــ يعنى لم يظهر المطربون أسرار النفس ، ويبدو مكنون الضمير الانسانى ، ولا تزال « الذات » محجوبة ٠

(٤) رجل صينى قام أمام الجلاد والسيف مصلت فلم يشغله هذا المقام عن الاعجاب بوميض السيف فقال للجلاد : أمهلنى لأمتع النفس بهذا المنظر ٠ فهذا يعجب به اقبال أى اعجاب ويرى فيه ذاتا كاملة ٠

الشعر

لم أدر سرّ الشعر إلا نكتةً ... سِيَرُ الشعوب تُبِينُها تفصيلا :
الشعر فيه من الحياة رسالةٌ ... أبديةٌ لا تَقبلُ التبديلا
إنْ كان من جبريلَ فيه نغمة ... أو كان فيه نفخُ إسرافيلا [1]

الرقص والموسيقى

إن للشعر بهجةً ضاء منها ... روحُ جبريل والرجيمُ اللعينْ
ومن الموسيقى ابتهاجٌ وشوق ... وكذا الرقص نشوَة وفتون
قد سمعنا فى الصين قولَ حكيم ... فيه أفشى مخبّآت الفنون :
إن للموسيقى من الشعر رُوحاً ... ومن الرقص جِسمُها فى العيون

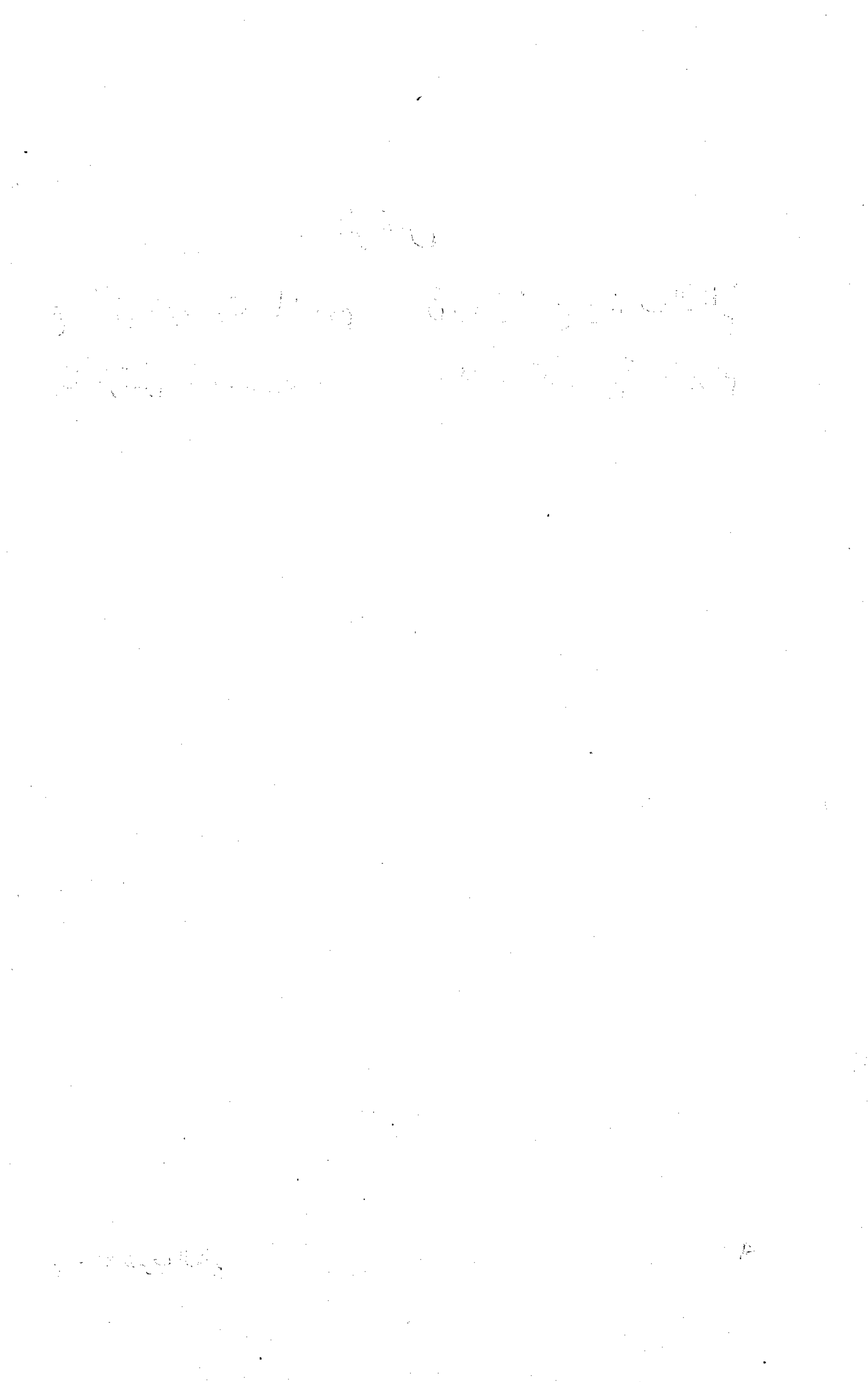
ضبط النفس

دأبُ أهلِ الزمان شكوى الزمانِ ... ليس للحرّ آهةٌ فى طِعانِ
قد أسرّ النجوى إلىّ عليمٌ ... من شيوخ القلوب والعِرفانِ :
إنّ كظم النُواح شيمةُ ليْثٍ ... ومن النَوح شِيمة الثعلُبانِ

(١) الشعر يحمل رسالة من الحياة أبدية ان كان جميلا هاديا كنغمات جبريل (وجبريل رسول الوحى) أو كان فيه صعق وبعث كصوت أسرافيل .

الرقص

دع لأهل الغرب رقصاً بجسوم　　　إنّ رقصَ الروحِ مِن ضرب الكليمْ
فبهذا الرقص سُلطانٌ وفقر　　　وبذاك الرقص همٌّ لا يَريمْ



القسم الخامس

سياسيات المشرق والمغرب

انقلاب

أبمشرق أو مغـربٍ نارُ الحيـاة ونورُها
فهنا تمـوت ذواتُها وهناك مات ضميرها
وأرى القلوبَ لثورةٍ مِلء البـلاد زفيرها
فلعلّ دنياك القديمةَ للمماتِ مَسـيرُها

تملق

العنوان فى الأصل (خوش آمد) وهى عبارة فارسـية بمعنى مرحبا أو أهلا وسهلا . ومعناها بالاردوية التملق . وقد كتب اقبال هذه الابيات حينما وضع الانكليز نظام الاستقلال الداخلى لولايات الهند وكثرت مناصب الوزراء فيها .

جهلتُ أُمورَ الناس غيرَ مجرِّبٍ ولـكنَّ ربّ القلب للغيب يشهدُ
فقل لوزير ما بدا لك مادحا فذانك دُستور وعهـد مجدَّد
إذا قال: صقر الليل للبوم مادح فهل ذاك حقّ أو دِهانٌ يردَّد[1]

المناصب[2]

سِحرُ الفرنجة قد أحاط بمؤمن يا ويح عينى قد هَمتْ عَبرَاتُها
فلعلّ منصِبَك الرفيع مبارَكٌ فالذاتُ من جَراه حان مماتُها

(١) اذا قال أحد المادحين للبومة وهى لا تطير الا ليلا انها صقرا لليل فهل هذا حق أو ملق ؟

(٢) هذه الابيات قيلت فى الأحـوال التى أنشـئت فيها الابيات السابقة .

هذى القضية معضِلٌ إخفاؤها وضَحتْ لـكل مفكّر آياتُها :
« لاشِركَ فى حكمٍ لعبدٍ إنما شُرِيت عقولهُمُ وخاب شُراتُها »[1]

أوروبا واليهود

اقبال توفى سنة ١٩٣٨ فهو لم يشهد حرب فلسطين ولم ير تسلط اليهود على أوربا وأمريكا كما رأينا • ولكنه نظر الى الحوادث نظرة عارف خبير •

نظام ومالٌ وعيشٌ رغيـدٌ وظُلمة صَدر لها القلب يَقلِي
دخان المصانع فى الغرب داجٍ فواديه ليس بأهل التجلّى
رأيتُ حضارتَه فى احتضار تموت اعتباطاً، وما الموت يُملى[2]
فليس غريباً تولّى اليهـود كنائسَـه بعد هذا التولّى

عبودية الأنفس

لا تخلو الامم الذليلة من شعراء وحكماء وعلماء يسلكون مسالك شتى الى غاية واحدة هى أن يروضوا الامة على الخضوع ، ويمحوا من سجاياها الاقدام حتى ترضى بالرق ، هذا مقصدهم وكل تأويل فى القول تحيل لهذا المقصد •

ليس يخـلو زمانُ شَعب ذليل من عليمٍ وشاعرٍ وحكيمِ
فرّقتهم مذاهبُ القول لـكن جمع الآراءَ مقصدٌ فى الصميم :

---

(١) الامم المحكومة لا يمكن أن تشارك حاكميها فى الحـكم مهما وضعوا لها من نظم • شريت : بيعت والشراة البائعون •
(٢) تموت فى شبابها ، والموت لا يمهل •

«علّموا الليثَ جفلة الظبى واَمحوا قصص الأُسْد فى الحديث القديم[1]»
همُّهم غبطـة الرقيـق برقٍ كلُّ تأويلهم خِـداع عليمِ

الروس الشيوعيون

إن سَــيرَ القضاء جِــدُّ عجيبٍ أىُّ سِرّ حوى ضميرُ الزمانِ
ليس يألو الصليبَ سراً قَبيــلٌ كان يرجو النجاةَ بالصُلبانِ
أمرِ الوحى مُلحِدى الروس« هُدّوا ما أقام القسوسُ من أوثان »

اليوم والغد

مَن عَداه ليومِه فى جهادٍ نورُ نفس وشُعلةٌ فى الـكُبودِ
مالَه الحقّ فى مَتاع وهمّ يستسِرّان فى الغــد الموعود
ليس أهلا لمعرَك الغدِ مَن فى سيره (اليومُ) ليس بالمعدود

---

(١) فى هذا البيت مقصد القائلين المذكورين فى البيتين السابقين .

المشرق

جَيبُ الشقائق من شَدوىِ غـدا مِزَقاً
ونسمةُ الصبح رَوضـاً تطلب الآنا(1)

ما « مصطفى » أو « رضا » جَلّى حقيقتهاَ
فالروح فى الشرق جِسماً تطلب الآنا(2)

وحقُّ ذاتى عَقابٌ غـــيرَ أنّ لهـا
ذا العصرُ جِذعا وَحبْلاً يطلب الآنا(3)

سياسة الافرنج

يا رب نِدّك فى غربٍ سـياستُه ... وما تعبّد إلا الهامَ والرُوسا (4)
خلقتَ إبليس فرداً من لظى لهب ... ومن تُرابٍ أقامت ألفَ إبليسا

---

(١) انا شدوت حتى مزقت شقائق النعمان جيوبها وجدا • ونسيم الصبح لا يزال يطلب روضا ينضر أزهاره •

(٢) لا مصطفى كمال ولا رضا بهلوى كان مظهرا لروح الشرق فهى تطلب الآن بدنا تظهر فيه •

(٣) وذاتى تستحق العقاب بما دعت الناس الى اليقظة والحرية ، ولكن العصر لا يزال يطلب حبلا وجذعا ليصلبنى ليس قادرا عـــلى صلبى •

(٤) الرؤس أى الرؤساء ، أى لا يعبد هذه السياسة الا رؤساء أوربا وحكامها •

العبيـــد ...

تعلمتُ بين الغرب والشرق حكمةً ... أراها لأهل الرقّ أجدى الفوائدِ :
فلا ملك أو فقراً ودينا وحكمـة ... يؤسس إلا فوق صخر العقـائد
فإما خلا منها ضميرُ جماعة ... فأفعال رعـديد وأقوال هامـدِ

إلى أهل مصر

من أبى الهـول أتتنى نكتة ... وأبو الهول طوَى السرَّ القديم[1]
بدّلتْ سيَرَ شـعوب جمـله ... قوّةٌ لم يجفُها العقلُ الحكيم
طبعُهـا فى كل عصر ماثلٌ ... يُبدِلُ الشكلَ ويَبقى فى الصميم
فهى طَوراً فى حُسام المصطفى ... وهىطَوراً فىعصا موسىالكليم

الحبشـــة

(١٨ آب سنة ١٩٣٥)

عِقبانُ أوربّا بغـــير علم ... فى جيفة الأحباش أى سم !
قد آن للميتةِ أن تَجيفا

حضــارةٌ تكملُ بالمَخزاة ... وعيشُ أقوام على الغارات
وكلّ ذئبٍ طاردٌ خروفا

وجهُ الكنيسة اكتسىشَنارا ... روما أراقت ماءَه نهـارا
يا بابُ قد أضحى الورى أسيفا[2]

---

(١) أبو الهول : رمز العقل والقوة ، رأس انسان على جسم أسد .
(٢) يعنى البابا رئيس الكاثوليك .

أوامر إبليس إلى أبنائه الساسة[1]

يصـــور الشـــاعر فى هذه الابيات عمل الساسة بأوامر أبيهم ابليس • وانما يأمرهم بابعاد أهل الأديان كلها من الدين ولا ســـيما المسلمون، هؤلاء الصابرون المستميتون . وقد خص العرب الذين نشأ الدين فى حضانتهم والافغان الذين تسيطر عليهم حمية الدين الخ •

ثم أوصاهم باخراج اقبال من الروض لأن نفسه يشعل الحقائق أى يثير النار فى الشباب فيبعدهم عن سياسة ابليس •

عليـكم بالـبَرَهْمَن فار بِكوه ... بأشراك السياســة والحبالِ
وأصحـابَ الزنانير اطردوهم ... من الدّير القديم بالاحتيالِ
وذلـكم الصبورُ على الرزايا ... ومَـن هو بالمنايا لا يبالى[2]
فروحَ محمـد منه اسـلبوه ... لتعملَ فيه أحـداثُ الليالى
وفى العَرَب اقذفوا فى كل فكر ... من الأفرنج ألوانَ الخيـال
بأرض العُرْب للاسلام كيدوا ... ليُسرع فى الحجاز إلى الزوال
وفى الأفغان بالدين اعتصام ... وليس عِلاج هـذا بالمحال
عليكم بالفقيـه فأخرجـوه ... من الأرض المنيعة والجبال
وقُوّاماً على الحرَم اسـلبوهم ... لهم سُنناً تحيـد عن الضلال[3]

---

(١) كتبت فى شيش محل ، دار أمير بهوبال •

(٢) ذلكم الصبور الخ يعنى المسلم •

(٣) يريد بقوام الحرم من تولى هداية المسلمين الى دينهم فى الحرم وغيره •

غَزالَ المسك من ختَنٍ أثيروا   وخَلّوا الأرض من هذى الغوالى [1]
و إقبالٌ له شَـدْوٌ مثـير   به زَهَر الشقائق فى اشتعال
من المَرَج اطردوا هذا المغنّى   لتحموا الناس عن هذا المقال

جماعة الأمم الشرقية [2]

سُخِّر المـاء والهـواء مسخَّرْ   ليس بِدعاً إن القضاء تغيّرْ
جبروتُ الفـرنج غَرَّته رؤيا   علها غـيرَ ما رآه تُعـبَّر
إنْ جِنيوَا للشرق طهرانُ صارت   فلعلّ التبـديل للأرض يُقدَر

الملك الخالد

إنى لَغوّاص المعـانى فِطرةً   لـكننى بَحرَ السياسـة أحذرُ
ماإن يُحبُّ الدهرُ مُلـكا خالداً   ولوَ انّ فيه من الرُؤَى ما يسحَر
فَرهادُ أبقى الدهرُ نحتَ صخوره   لم يَبقَ من پرويزَ مُلكٌ يُؤثَر

---

(١) بلاد ختن فى تركستان كانت معـروفة بمسكها، وغزال ختن مشهور فى الشعر الفارسى وما يتصل به ٠

ويريد الشاعر أخلوا الارض من المعانى الجميلة التى تعطرها ٠ أى أخلوا بلاد المسلمين من السنن القويمة والآمال العالية ٠

(٢) كتبت فى شيش محل (دار أمير بهوبال) ٠

الجمهورية

بدا السر فى قولةٍ من أريبٍ وما كان مِن قَبلِه يُعلَنُ:[1]
نظام الجماهير حُكمٌ به تُعَدُّ العِبادُ ولا توزَنُ

أوربا وسوريا

أهدت الشام إلى الغرب نبيّا هو عَفٌّ ومُواسٍ وصَبور
ومن الغرب إلى الشام هَدايا من قِمار ونساء وخمور

من موسولينى

(إلى أنداده فى المشرق والمغرب)

أرى العصر يأبى من مُسولينَ جُرمَه وأخيارُ أوربا علىّ غِضابُ
كلانا بآلات التمدنِ آخذٌ أتنقم أفعالَ السيوف حِرابُ
وقد نقَموا منّى غرامَ تَملّكٍ أما ثار منهم بالضعاف ضِراب
لِمَن شعبَذاتُ الحكمِ تُبقى مَمالكا ولا مُلكَ أو ملكٌ بهنّ يُصاب
أينفُخُ فى الأعواد أبناء قَيصرٍ ويُجبَى إليكم عامرٌ ويباب[2]
نهبتم خيامَ البدو والزرعَ والقرى وكم كان منكم للعُروش نِهاب
قصَدنا من التمدين قتلاً وغارة أأمسُكم فخرٌ ويَومىَ عابُ ؟

(١) ستندل .
(٢) يشغل أبناء الرومان بالزمر والموسيقى وغيرهم يملكون الارض ويضربون الخراج حتى على الصحارى .

شكوى

مستقبلَ الهند من يدرى ؟ وما برحت
يا ويحها ، درّةً فى التـاج ترتهن[1]

دِهقانها من ظلام اللحـد مطَّرحَ
ولم يزل مِزَقاً تحت الـثرى الكفن

الجسم والروح للبـاغين قـد رُهنا
لم يَبق فى أرضها دار ولا سَكَن

رضـيتَ رقّا لأوروبا بـلا أنفٍ
فمنك شـكواى لا منها ، و بى حزن

انتداب

مَلَكُ الحضارةِ أين يُحتَم سَـيرهُ ؟ | فى عصرنا هـذا السؤال يسيرُ :
فى حيثُ لا خمـرٌ ولا قَمْرٌ ولا | ضِيقُ الثيـاب على النسـاء يجور
والروحُ فى بدنٍ قوىٍّ خافقٌ | لـكن على سَـنَن الجـدود يسير
حيثُ المـدارس غائضٌ ينبوعهـا | وابن البـداوة فى الذكاء جَسور
يُفتى جهـابذةُ الفرِنْجـة أنمـا | هذى البقاعُ من التمـدّن بُور[2]

(١) كان الانكليز يقولون ان الهند أثمن درة فى تاج الامبراطورية ·

(٢) حيثما وجد الناس على الاخلاق القويمة والفطرة السليمة قال الفرنج هذه الارض فى حاجة الى التمدن فارسلوا اليها ملك التمدن باسم الانتداب ·

السياسة اللادينية

ما الحقّ مخفٍ عن فؤادىَ سِرّه ... فلقد حبانى الله قلباً مُبصراً
فسياسة اللادينِ عندى خِسّة ... مات الضميرُ بها و إبليسُ افترى (1)
لمّا قلَى حكمُ الفرنج كنيسةً ... ساسوا كشيطان بلا قيدٍ جرى
شَرِهَتْ لأموال العباد كنيسةٌ ... فإذا الخميس سفيرُها بين الورى (2)

شبكة التمدين

أمانتُها علَتْ عن كل ريب ... و إقبالٌ مُقِرّ دون نُكرِ
فأوربا نصيرة كل شَعب ... تشكّى الدهرَ من ظلم وضُر
كرامات القساوس أن أضاءوا ... سراجَ الكهرُباء بكل فِكر
ولكن مِن فلسطينٍ بقلبي ... وللشام الكسيرة حرُّ جَمر
وتلكم عُقدة ليست لحل ... تُلاقى كلَّ تدبير بِعُسر
من الترك الجُفاة نَجوا فلاقَوا ... بأشراك التمدّن شَرَّ أسر (3)

---

(1) ابليس افتراها .

(2) الخميس ــ الجيش .

(3) فى هذا استهزاء : يقول ان أوربا ادعت أنها أنقذت الشام وفلسطين من قسوة الترك ولكنها اوقعتهم فى شر اسر .

نصـــيحة

قال لُرْدٌ من الفِرنج لنَجلٍ — أبغ مَرأىً يدوم فيه المراد (١)

أظلْمٌ الظُّلم المسا كين إعلام — خِرَافٍ شريعة الآســـاد (٢)

إنّ الملك سِرّه فا كْتُمَنْه : — لا تَرُم بالسيوفِ قهرَ العباد

و بِحِمض التعليم فاغمِس نفوساً — ثُمّ صُغ طينهـــا وفاقَ المُراد

أين منه الا كسير ؟ هذا محيلٌ — جَبلَ التِبر كَومةً من رَماد

قرصان واسـكندر

اسـكندر :

جزاؤك فى سَلاسلك ارتهانٌ — أو التصميمُ من سيفى العتيقِ (٣)

فقد صيرتَ وُسعَ البحرضيقاً — بما أمعَنتَ فى قطع الطريق

القرصـــان :

سِـكندرُ ! للفتوة لم توَفَّقْ — أيجمُلُ بالفتى فَضحُ الرفيقِ ؟

فإنّ القتل دَأبى لا أمارى — كذاك القتل دأبُك ياصديقى

كلانا اليوم قرصانٌ : ببَرٍّ — تَصول ، وصُلتُ فى بحر عميق

(١) أطلب المنظر الذى لا تنتهى منـــه العين ، أى المطمع الذى لا يحد ٠

(٢) أظلم الظلم أن تعلم الغنم سيرة الأسد أى تعلم الأمم الذليلة طريق الحرية والقوة ٠

(٣) صمم السيف أصاب المفصل فقطعه ٠

عصبة الأمم[1]

مِسكينةٌ منذ زمان تُحتَضرْ | لافاهَ مِقوَلى بسـيّء الخبرَ[2]
وموتُهـا محتَّمٌ لكنَّما | يدعوالقسوس أن يزولَ ذاالخطر
عجوزُ أوربا يجوزُ عَيشُهـا | على رُقَى إبليسَ أياماً أُخَرَ[3]

الشـام وفلسطين

مَرحَى لحانات الفرنج فقـد | ملأت بهنّ زجاجَها حَلبُ
إنْ فى فلسطين اليهودُ رَجَتْ | فليأخذَنْ أسبانيـا العَربُ
للانكليز مقاصـدٌ خفيت | ما إن يُراد الشَهد والرُطَب[4]

أئمة السياسة

ما رجائى بسـاسة قد أسَفُّوا | وإلى الأرض أخلدوا إدرا كا
نظراتٌ إلى ذُباب ونمـلٍ | فهمُ العنكبوت مدّتْ شِبا كا
حبّذا الركبُ قد هداه أمير | ذُو مرامٍ تُجاوز الأفلاكَ

(١) العنوان فى الأصل جمعيت أقوام .

(٢) يعنى لا أود أن أخبر بموتها .

(٣) الظاهر أن الشاعر نظم هذه الأبيات حينما كانت عصبة الأمم فى آخر سنواتها .

(٤) بلاد العرب كلها معروفة فى الهنـد بالنخل، ويقول الشاعر ليس قصد السياسة الانكليزية ما تعلن من عمران البلاد بل لهـا مقاصد خفية .

نزعات العبودية

بأسبابِ سُقمِ الشعوب خَفاء ... يقصّر فى شرحهنَّ البيانْ :
بشرع الأسـود إمام العبيد ... يرى دائماً حِكمـةَ الثُعلبانْ [1]
كليمُ الإله يُرَى لعنــــةً ... على قومه فى خُطوب الزمان
إذا كان فى السرّ هذا الكليمُ ... لقُوّةِ فرعونَ طوعَ البنان

صلاة العبيد

جاء الى لاهور وفد من الهلال الأحمر التركى فصحبهم اقبال فى صلاة بالمسجد الكبير فأطال الامام الصلاة فسأل أحد رجال الوفد لماذا يطيل الصلاة امامكم هذه الاطالة فكتب اقبال هذه الأبيات :

قال بعد الصــلاة حِلفُ جهاد : ... كم يطيلُ الصــــلاةَ فيكم إمامُ
ما درى ذا كُمُ المجاهد المؤمن الغِرّ ... صــــلاةُ العبيد كيف تقامُ
كم لدى الُحرّ فى الحيــاة كفاحٌ ... غَيرةُ الحـرّ للشــــعوب قِوام
حُرِم العبـدُ حرقةَ الـكدّ عَجزاً ... فعــــلى وقتِــــه المُضِيُّ حَرام
لا تَعجَّبْ إذا أطـال سـجوداً ... ما لديه ســـوى السجود مُرام
رَبِّ وفِّقْ أئمــــة الهندِ يوماً ... لسجود تحيـا به الأقــــوام

---

(١) أسباب مرض الامم أئمة أذلة يرون فى شريعة الاسود فلسفة الثعالب، كالذين حادوا بالمسلمين عن شريعة الحياة والقوة الى مذهب الخنوع والاستكانة . والحكمة هنا الفلسـفة ، والثعلبـــان الثعلب الذكر .

إلى عرب فلسطين

لا يزال الزمانُ يَصــلَى بنار　　　لم تزل فى حَشاك دون خمود (١)

لا دواء بلندن أو جنيوا　　　بوريد الفرنج كفُّ اليهود (٢)

ومن الرقّ للشــعوب نجاةٌ　　　قوةُ الذات وازدهار الوجود

الشرق والغرب

علّة الشرق ذِلةٌ واقتــداء　　　ونظامُ الجُمهور فى الغرب داء

مَرضُ القلب والبصيرةِ فاشٍ　　　ما بِشرقٍ ولا بغَرب شــفاء

نزعات التسلط

(إصلاحات)

أرى رحمةَ الصياد سِتراً لقهره　　　ولم يُجدِ فينا ذا الصفيرُ المجدَّد (٣)

وقد زيّن الأقفاصَ بالزهر ذابلا　　　لعلّ أســيراً للاســار يُغَرّد

---

(١) يعنى أن النار التى سرت فى الزمان من تاريخ المسلمين لا تزال فى نفس المسلم لم تخمد ٠

(٢) يعنى يقبض اليهود على وريد أوربا ٠

(٣) يقصد الشاعر ما دعاه الانكليز اصلاحا حين جعلوا للهند نوعا من الحكم الداخلى ، يقول :

ما يزال الصياد قاسيا وان تظاهر بالشفقة ولا يرققه أن تجدد له غناء ٠ وانما همه أن يرضى الاسير فهو يزين الاقفاص بزهـــور لا نضرة فيها لعل الطائر يرضى بقفصه ٠

القسم السادس

أفكار محراب جل الأفغانى

للشاعر بالافغان اعجاب لقوتهم وبسالتهم ، واعتزازهم بجبالهم وحميتهم الاسلامية .

وقد تخيل أن شاعرا منهم اسمه (محراب گل) أنشأ هـــذا الشعر الذى فى الصفحات التالية ، يبين عما فى نفوس هؤلاء الناس وما فى معيشتهم كما يريد اقبال ..

— ١ —

يا جبـــالى أيّانَ عنكِ المسيرُ وترابُ الآباء هـــذى الصخورُ
لا زهورٌ ولا صَدى عنـــدَليبٍ فيك منـذ الآزال تأوى الصقور
جنّتى فيـك مَخرَم وشـعاب مأؤكِ النّور ، والترابُ العبـــير
لن يكون الشاهينُ عبـد بغُـاثٍ ألحفظ الأبدانـ روحى أُبير
خلعـة الانكليز أم سُحْقُ ثَوْبٍ إيه فقرى الغيور ! ماذا تشـير ؟

— ٢ —

تنافُرُ النـــــاس دائم أبداً لستُ ولا أنت القضـاء فصّـلَهُ
فى الذات غُصنْ ، للزمان ذا أمَل دواؤُه فى الجروح أرســـله
تبقى على الدهر واجـــداً بطلاً إن كان فى القلب « لاشريك له»

— ٣ —

يجوز أن تُبـدَل أنتَ ، لا تَخَلْ بدعوة أن القضـاءَ يُبـــدل
إذا سرى فى ذاتك انقـــلابها فجـائز أنـ القضـاء يُبْـدَل
يبغى الشراب والفِنـاء إذ ترى رسم « الشُـقاةِ » والإناءَ يبـدل
تدعو بتحقيق الرجاء جاهـداً ودعوتى أنـ الرجاء يبـــدل

— ٤ —

وما فلك جائرٌ فى السـيَرْ وماذا ذكاء وماذا القمـرْ ؟
أرى ركبها جاهداً فى المسير وأقعـدها طولُ هـذا السفَر

سِكندَرُ زمْجَرَ كالرعد حيناً	وعندك يا موتُ صدقُ الخبر
وعاشت بدهلى يدا نادرٍ	بضربة سيف حكى فاختصر (١)
وتبقى الجبالُ وأفغانها	لك الملك والحكم ربَّ القَدَر !
تُذلّ الحوائجُ صيدَ الرجال	ترى الليث كالثعلب المحتقر
إن الذاتُ أيّدها فَقْرها	فعندى وعندك مُلك البَشَرْ
قِوامُ الشعوب بحُرّ فقيرٍ	إلى سُدّة المُلك ما إن نظر

— ٥ —

مدارسُ ثم ضوضاءٌ ولهوٌ	وغمٌّ دام فى العيش الوفير
وسمّ الحر هذا ليس علماً	إذا كان الجَدَى كفَّ الشعير (٢)
وما أدب وفلسفة غناءٌ	قِوام الفنّ فى جَهد المسير (٣)
تحكّمَ فى الطبيعة ربُّ فنٍّ	يضىء الليل كالصبح المنير
فربُّ الفن مِن بركات فنّ	يطوعُ لحكمه كلُّ العسير
وذلك إن يشأ قطرت عليه	أَياةُ الشمس كالطل النضير (٤)

---

(١) نادر شاه ملك ايران وأفغانستان ، فتح دهلى وتوفى سنة ١١٦٠ هـ ٠

(٢) العلم الذى جدواه كف من شعير أى متاع قليل ، ليس علماً ولكن سماً للاحرار ٠

(٣) الفن بالجهد المستمر لا بالادب والفلسفة ٠

(٤) رب الفن ان شاء قطرت عليه أياة الشمس (أى شعاعها) كالندى فجعلها مادة فنه ٠٠

- ٦ -

عالَم التجـــديد إن يظفرْ بحرّ — موجدٍ من حوله طاف الزمانْ
لا تَدعْ ذاتَك بالتقليـــــد لَغواً — جـوهرٌ فردٌ فحُطْه بصِوانْ
بارك التجـــديدُ قوماً ليس فيهم — غيرَ حفلِ الأمس، ذكرى وعِيان (١)
خشيتى أنّ وغى التجديد فى الشرق — على التقليـد للغرب دِهانْ

- ٧ -

تبدّل الأقــوامُ فى البُـــلدانِ — فى الروم والشام وهندُسْتانْ
يا ابن الجبـالِ هُبّ للزمانْ — وأدركن ذاتَك بالعــرفانِ

ذاتَك بالعرفانِ

يا غافل الأفغانِ

ذا موسم وماؤه عُبـــــابُ — وعَسجداً يُنبتُ ذا الـترابُ
من لم يروّ زرعَــه احتســاب — فكيف يدعَى الغِـرُّ بالدهقان

ذاتَك بالعرفان

يا غافل الأفغان

---

(١) التجديد بركة لقوم لا يذكرون ولا يرون الا صور الماضى .

ما لم يهج في موجــــه الزخَّارِ فأيُّ بحـر ذاك في البحـار ؟
ما ليس فيه ثـورة الإعصـار فكيف يدعى عاصفَ الأكوان

ذاتك بالعرفان

يا غافل الأفغان

من اهتــدى ونفسَه أصابا مقلّباً في طينـــه الترابا
فخرتُ ذا العبدِ الذى قد طابا يُفدَى بكل الجاه والسلطان

ذاتك بالعرفان

يا غافل الأفغان

جهلك هــذا ما به من عارِ قد صـيّر الجهلَ من الفَخار
كم عالمٍ فاضــلٍ ممـارى متاجرٍ بالدين والإيمان

ذاتك بالعرفان

يا غافل الأفغان

— ٨ —

يدّعى الزاغُ أن ريشَك قُبح ويقول الخفاش : أعمى جهول
ما رُذال البُغاثِ ياصقرُ! تدرى في عَنان السماء كيف تصول
كيف تدرى بحال طائرِ عزمٍ كلُّه في المطـار عينٌ تجول

— ٩ —

لا يسفُّ العشقُ دأبًا لهوسٍ ... بذبابٍ بازياً لا تقِسِ
ربّ روض حال حتى ليَرى ... عندليبٌ عشّه كالمَحبِس
مُزمعُ الأسفار لا يبغى صدًى ... من أذانٍ برحيل الغلَس
أترى قافلة الموج لها ... فى مسير حاجةٌ بالجرَس
خدعَ العينَ فتى مدرسةٍ ... فبدت فيه حياةُ الأنسِ
وهو ميْتٌ ومن الغرب اجتدى ... ما سرى فى صدره من نفَس
إن ترِد تربيةَ القلب فمِن ... نظر المؤمن شَزْراً فاقبِس

— ١٠ —

سوادُ عيون عِتْرته فتىٌّ ... حليفُ طهارة وفتى ضِرابِ
يُرى فى السلم ظبياً ذا جمال ... وفى يوم الكريهة ليثَ غاب
به نار تُحرّق كل شيء ... وحَسبُ الغاب من شرر الثِقاب
حباه الله أبَّهة ومُلكا ... بفقرٍ حيدريٍّ واحتساب
سبيلُ التاج حسر الرأس عنه ... فلا تنظر إليه بارتياب (١)

---

(١) وهو حاسر الرأس ولكنه طموح الى التاج أو هو فى همته وعزته كصاحب التاج فلا تحقره بأنه حاسر .

— ١١ —

في بارحاتك لألأت أنــواره ... يَسطِيع نُوراً ذا السراجُ الخابى(١)
يشكو الضعيفُ من الزمان صُروفَه ... والحرُّ فيـــــه باسِمٌ لِحِراب
من صوت طير الصبح يدهَش ذا الفتى ... أتراه أهــلَ تطاعنٍ وضِراب
حذرى لأنك فى طِبــاع طفولة ... والغربُ تاجر سُكّرٍ وجُلاب(٢)

— ١٢ —

بـــــلادينٍ ولاتينٍ ... هوَتْ فى الفـخّ رجلاه(٣)
دواء العـــــاجز المغلوب ... « لاغــــلاّبَ إلا هُو »
وصـــــيّادُ المعانى ما ... رَجَتْ فى الغَرب عينــاه
فضـــاءٌ مونِقٌ لكن ... غزالُ المِســـــك خَلاّه(٤)
يقوِّم ذاتَـه سَـــحَراً ... بدَمع العـــــين أوّاهُ(٥)

---

(١) هذا السراج الخابى هو الذى أضاء لك البارحة فهو أهل لأن يضىء مرة أخرى . يعنى الاسلام .

(٢) يخاف على المسلم أو الشرقى لأن فيه طبع الطفل يحب السكر والجلاب . وأوربا تحسن التجارة بهما ، فهو يتهافت على تجارتها .

(٣) يشير الى مصطفى كمال وأتباعه سـياسة لادينية ، واتخاذه الحروف اللاتينية للغة التركية .

(٤) لا يجد صـياد المعانى فى أوربا غزالا مسكيا يصيده فانما هى فضاء لا صيد فيه . أى لا يجد المعانى الجميلة التى يحبها .

(٥) الأواه : المتعبد الرقيق كثير الدعاء

فهذا الزّهْر أحسَـــنُه على الأمواه تلقـــاه
ودَير الـكون ، زُونُ الريـــح والألوان معنـــاه[1]
على الـكُفار مُستَولٍ وذو الايمـــان مولاه
إمامَ المســجد ! امنعه أميراً حين يغشـــاه
زوى المحراب حاجبـــه ولم تُعجبْـــه تقواه[2]

— ١٣ —

دنيــاكَ فى عينىَّ شئٌ آخرُ أنّى لعينك ـ ليت شعرى ـ تَظْهرُ
ماذا التقلّبُ فى عقول شبابنا فى كل صدر قد تبدّى مَحشَر
شيخَ المساجد! ماذُعاؤكَ سُحْرة أبه الحيـــاةُ بلا جهادٍ تَظفَر[3]
ما «الذات» يُرجى فى رِباطٍ خَلقُها هل للشرار من الرماد تَســعّر[4]

— ١٤ —

كل عشق دون إقدام هوى ويد الله بعشـــق مخطر
ويلتا من ترف ! أين فتىً تخِذَ الأهوالَ زاد الســفر
خَلوةُ الاطواد ليست وَحشةً يعرف «النفس» بها ذو البصر

(١) هذا العـالم الذى هو معرض لاصـنام من الألوان والروائح ، يستعبد الكفار ولكنه مسخر للمؤمن .
(٢) تخيل زاوية المحراب تقطيبا لصلاة أمير ليس فيها معنى الصلاة .
(٣) فى الأصل شيخ الحرم . والمراد به المساجد عامة .
(٤) الرباط مقام الصوفية . وفى الأصل خانقاه .

— ١٥ —

عِلمُ فقرٍ لسـالكٍ غيرُ صعب حدّث الناسَ عن هُداه الضميرُ
لا يكون الفولاذُ جوهرَ سَيفٍ إن يكن فى الطباع منـه حرير
إنّ قَهر الإله فقرٌ ذليـــــلٌ وسبيل السلطان فقر غَيورُ
قد سباكِ الفرنجُ نفساً ولـكن أنت يامؤمن البشـير النذير (١)

— ١٦ —

مَوتُ الشُـــعوب بُعدُها عن جَـذَبات المركـزِ
والذات إما رُكِزت فللمعـــــــالى تُركَـزِ
فقر تراه شـــا كياً جور الزمان اللحز
باق عليـه مســـحة مِن اجتداء الكَـزِزِ
ولم يزل ميسّـــــــراً للبَرّ فعــــــلُ المعجِز
أن يجعل الصـخور كالذ م رّات غَير مُعـــــجَزِ (٢)
فأين يا مؤمن أنت اليـــــوم لم تُـبرَّز
ما فى جهـــــاد لذةٌ جَمْرُكَ فيـــه مُعوزى (٣)

---

(١) جاء هذا المصراع فى الأصل بالفارسية .

(٢) لا يحول دون همة الحر شيء من عالم المادة فهو يحيل الصخور ذرات فلا تكون فى طريقه عقبات .

(٣) ليس فى الجهاد لذة ما لم تكن فيه حرارة الايمان . وجمر المؤمن يفتقد اليوم فى الجهاد .

ياشمُس من سرادق المشـــرق هيّـــا فابرُزى
واكسى جبـالى حلّةً تُزهَى بلون القرمز

— ١٧ —

إنْ يكن فى الألوف ربٌّ يقينٍ نفَخَ النارَ فى شَـباب وشِيبِ
ربما تنشىء الصـحارى فقيرا يخلقُ الدرّ من حصىً فى الجيوب[١]
بيراع لك اكتبْن لك حظّا لم يَخُطّ الجبينَ ربُّ الغيوبِ[٢]
ذا الفضــاء الذى يُسمّى سماءً ليس شيئاً لدى العُقاب النجيب
هو فوق الرؤوس يدعى سماء وهو أرض تحت الجناح الهَبوب

— ١٨ —

أى قولٍ لشيرشاه رشــــيد : فى اختلاف القبيل ذلّ العبيد[٣]
خلعوا ثوب أمـــة جَمعتْهم وازدهوا بالوزير والمحســود[٤]

---

(١) الجيوب وجه الأرض . وهو يشير الى الرسول صلوات الله عليه وسـلامه .

(٢) اكتب حظك بقلمك فالله تعالى لم يكتب على جبينك مستقبلك كما تزعم .

(٣) شيرشاه أحد أمراء الأفغان .

(٤) الوزيرى والمحسود من قبـائل الأفغان فى أقليم الحـدود من باكستان .

ذهب الدين فى الجبال شعاعاً كل حزب لبُده فى سجود[1]
حَرَمٌ فيه حُرمة اللات ترعى فحباك المولى بضرب سديد[2]

- ١٩ -

ليس الذى يُدرك الألوانَ بالبصرِ
بل مُغْتَنٍ عن ضياء الشمس والقمر[3]
يا مؤمنَا قد شأى الإفرنج منزلَةً
تَقَدّمَنْ . ليس هذا مُنتَهى السفرِ
وحانةُ الغرب للصادى مفتّحة
ما السكر فيها بعلم العصر بالنُكُرِ
لك المماتُ بهذا السكر مُستترٌ
إن لم يكن فيك للتوحيد من شَرَرِ[4]

(١) البد . الصنم .

(٢) هذا حرم ولكن فيه أصنام . فالله يوفقك لضرب تكسر فيه الأصنام كما كسر الرسول أصنام الكعبة .

(٣) ليس بمبصر الذى يرى الألوان ، بل ما أدرك الحقائق والأسرار التى لا يحتاج فى رؤيتها الى الشمس والقمر .

(٤) لا ضير فى أن تأخذ علوم العصر وتنتشى بها ولكن الهلاك فيها أن تغفل بها عن الايمان والتوحيد .

هل يَسمعنّ بنو الخانات موعظتى
في شملة است ذا تاج ولا سُرُرِ؟[1]

- ٢٠ -

مقاصد الفطرة العلياء يحفظها
مَن عاش فى البيد أو فى الطود إنسانا

يراقب السِحرَ فى التمدين يُبطله
فى فقره أودع الخلاقُ سُلطانا

للحسن واللطف صاغَ الروضُ بلبلَه
وتُنشىء البيد للاقدام عِقبانا

يا شيخُ كم تُعجِبُ الأبصارَ مدرسةٌ
لكنَّ فى البيد فاروقاً وسَلْمانا[2]

هل يعرف الدهر للإسلام من شَبَه
فى نشوة تتحدَّى السيف غضبانا

(١) الخانات جمع خان . ومعناه الأمير . يعنى يسمع هؤلاء الأمراء قولى وأنا فى ثياب خشنة لست ملكا ولا أميرا .

(٢) يعنى الأصحاب الكرام مثل عمر الفاروق وسلمان الفارسى .

فهرس

تصحيح

صفحة	سطر	غلط	صواب
١٠٢	٥	الصليب سرا	الصليب كسرا
١١٦	١١	يبغى الشراب والفناء	يبقى الشراب والغِناءُ
١٢٠	١٢	حسر الرأس عنه	حسر الرأس منه
١٢٥	٣	يدرك الألوان بالبصر	... ذو البصر